كتاب ميزان العمل لحجة الإسلام الغزالي
توفي رحمه الله تعالى في سنة ٥٠٥ هجريه

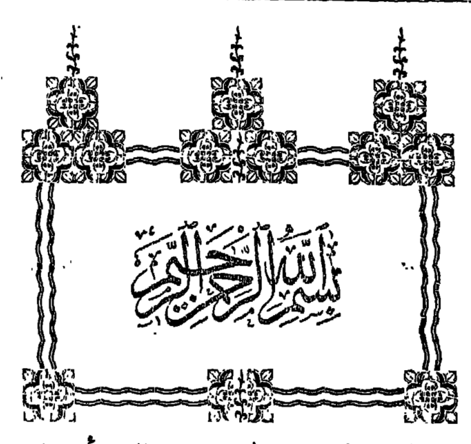
كتاب

ميزان العمل

للامام الهمام حجة الاسلام أبي حامد محمد
ابن محمد الغزالى المتوفي سنة ٥٠٥

طبع على نفقة حضرات الافاضل الشيخ
﴿ محي الدين صبرى ﴾ الكردي
والشيخ عبد القادر معروف
والشيخ محمد حسين نعيمي

طبع بمطبعة ﴿ كردستان العلمية ﴾ لصاحبها
فرج الله زكي الكردى بمصر * سنة ١٣[illegible]



قال الشيخ الامام الهمام حجة الاسلام زين الدين أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي الطوسي رضى الله تعالى عنه وأرضاه لما كانت السعادة التي هى مطلوب الاولين والآخرين لا تنال الا بالعلم والعمل وافتقر كل واحد منهما الى الاحاطة بحقيقته ومقداره ووجب معرفة العلم والتمييز بينه وبين غيره بمعيار وفرغنا منه وجب معرفة العمل المسعد والتمييز بينه وبين العمل المشقي * فافتقر ذلك أيضا الى ميزان * فاردنا أن نخوض فيه ونبين أن الفتور عن طلب السعادة حماقة * ثم

نبين أن لا طريق الى السعادة الا بالعلم والعمل * ثم نبين العلم وطريق تحصيله * ثم نبين العمل المسعد وطريقه * وكل ذلك بطريقة يترقى عن حد طريق التقليد الى حد الوضوح لو استقصى بحقيقته وطوّل الكلام فيه ارتقى الى حد البرهان على الشروط التي ذكرناها في "معيار العلم" * وان كنا لسنا نطوّل الكلام به ولكن نرشد الى أصوله وقوانينه *

بيان ان الفتور عن طلب السعادة حماقة

السعادة الاخروية التي نُعْنَى بها بقاء بلا فناء * ولذة بلا عناء * وسرور بلا حزن * وغنى بلا فقر * وكمال بلا نقصان * وعز بلا ذل * وبالجملة كلما يتصور ان يكون مطلوب طالب ومرغوب راغب وذلك أبد الآباد على وجه لا تنقصه تصرّم الاحقاب والآماد * بل لو قدّرنا الدنيا مملوءة بالذرر وقدرنا طائراً يختطف في كل الف سنة حبة واحدة منها لفني الذرر ولم ينقص من أبد الآباد شيء * فهذا لا يحتاج الى استحثاث على طلبه وتقبيح الفتور فيه بعد اعتقاد وجوده اذ كل عاقل يتسارع الى أقل منه ولا يصرف عنه كون

الطريق اليه متوعراً ومُحوِجا الى ترك لذات الدنيا واحتمال أنواع من التعب هنا * فان المدة في احتمال التعب منحصرة والفائت فيها قليل * واللذات الدنيوية منصرمة منقضية * والعاقل يتيسر عليه ترك القليل نقدا في طلب اضعافه نسيئة — ولذلك ترى الخلق كلهم في التجارات والصناعات * وحتى في طلب العلم يحتملون من الذل والخسران والتعب والنصب ما يعظم مقاساته طمعاً في حصول لذة لهم في المستقبل تزيد على ما يفوتهم في الحال زيادة محدودة فكيف لا يسمحون بترك في الحال لتوصل الى مزايا غير مقدرة ولا محدودة * ولم يخلق في الدنيا عاقل هو حريص على طلب المال كان بذل الدينار وانتظار شهر ليعتاض منه بعد مضى الشهر الاكسير الاعظم الذي يقلّب النحاس ذهباً إبريزا إلا تسمح نفسه ببذله وان كان ذلك فواتا في الحال حتى ان من لم يحتمل ألم الجوع مثلا في مثل هذه المدة ليتوصل به الى هذه النعم الجسيمة لم يعد عاقلا ولعل ذلك لا يتصور وجوده في الخلق مع ان الموت وراء الانسان بالمرصاد * والذهب لا ينفع في الآخرة * وربما يموت

في الشهر أو بعد الشهر بيوم فلا ينتفع بالذهب * وكل ذلك لا يفتر رأيه في البذل طمعاً في هذا العوض * فكيف يفتر رأي العاقل في مقاساة الشهوات في أيام العمر واقصاها مائة سنة * والعوض الحاصل عنها سعادة لا آخر لها * ولكن فتور الخلق عن سلوك طريق السعادة لضعف ايمانهم باليوم الآخر والا فالعقل الناقص قاض بالتشمير لسلوك طريق السعادة فضلا عن الكامل *

بيان ان الفتور عن طلب الايمان به أيضا حماقة

أقول ان فتور الايمان أيضاً مع انه من الحماقة فليس يقتضي الفتور في سلوك سبل السعادة لولا الغفلة * فان الناس في أمر الآخرة أربع فرق ﴿ فرقه ﴾ اعتقدت الحشر والنشر والجنة والنار كما نطقت به الشرائع * وأفصح عن وصفه القرآن وأثبتوا اللذات الحسية التي ترجع الى المنكوح والمطعوم والمشموم والملموس والملبوس والمنظور اليه * واعترفوا بانه ينضاف الى ذلك أنواع من السرور * وأصناف من اللذات التي لا يحيط بها وصف الواصفين * فهي مما لا عين رأت ولا

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * وان ذلك يجري أبداً
بلا انقطاع * وانه لا ينال الا بالعلم والعمل * وهؤلاء هم
المسلمون كافة بل المتبعون للانبياء على الاكثر من اليهود
والنصارى ﴿ وفرقه ثانيه ﴾ وهم بعض الالهيين الاسلاميين
من الفلاسفة اعترفوا بنوع من اللذة لاتخطر على قلب بشر
كيفيتها * وسموها لذة عقلية * وأما الحسيات فأنكروا
وجودها من خارج * ولكن أثبتوها على طريق التخيل في
حالة النوم ولكن النوم يتكدر بالتنبه — وذلك لا تكدر له
بل هو على التأبيد * وزعموا أن ذلك يثبت لطائفة من
المشغوفين بالمحسوسات والذين التفات نفوسهم مقصور
عليها ولا يسمون الى اللذات العقلية — وهذا لا يفضي إلى
أمر يوجب فتوراً في الطلب * فان الالتذاذ انما يقع بما
يحصل في نفس الانسان من التأثر بالملموس والمنظور
والمطعوم وغيره * والشيء الخارج سبب في حصول الاثر
وليست اللذة من الأثر الخارج بل من الأثر الحاصل عند
حضور الخارج * فاذا أمكن حصول الأثر في النفس دون الشيء

الخارج كما في حالة النوم فلا ارب في الشيء الخارج ﴿ وفرقة ثالثة ﴾ ذهبوا الى انكار اللذة الحسية جملة بطريق الحقيقة والخيال * وزعموا ان التخيل لا يحصل الا بآلات جسمانية والموت يقطع العلاقة بين النفس والبدن الذي هو آلته في التخييل وسائر الاحساسات * ولا يعود قط الى تدبير البدن بعد ان أطّرحه * فلا يبقى له الا آلام ولذات ليست حسية ولكنها أعظم من الحسية * فان الانسان في هذا العالم أيضاميله الى اللذات العقلية * ونفرته عن الآلام العقلية أشد — ولذلك يكرهون في الطلب اراقة ماء الوجه ويؤثرون الاحتراز عن الافتضاح والاستتار في قضاء شهوة الفرج ومقاساة الآلام والمشقات * بل قد يؤثر الانسان ترك الطعام يوما أو يومين ليتوصل به الى لذة الغلبة في الشطرنج مع حسيته ولذة الغلبة عقلية * وقد يهجم على عدد كبير من المقاتلين ليقتل ويعتاض عنه ما يقدره في نفسه من لذة الحمد والوصف بالشجاعة * وزعموا ان الحسيات بالاضافة الى اللذات الكائنة في الدار الآخرة في غاية القصور * ويكاد يكون نسبتها اليها

كنسبة ادراك رائحة المطعوم اللذيذ الى ذوقه ونسبة النظر في وجه المشوق الى مضاجعته ومجامعته بل ابعد منه نسبة وزعموا ان ذلك لما بعد عن فهم الجماهير مثلت لهم تلك اللذات بما عرفوها من الحسيات كما ان الصبي يشتغل بالتعلم لينال به القضاء أو الوزارة وهو لا يدرك في الصبي لذتهما * فيوعد بامور يلتذ بها كثيراً ﴿ كصولجان ﴾ يلعب به أو عصفور يعبث به وأمثاله * وأين لذة اللعب بالعصفور من لذة الملك والوزارة * ولكن لما قصر فهمه عن درك الاعلى مثل بالآخر ورغب فيه تلطفا باستدراجه الى مافيه سعادته * وهذا أيضا اذا صح فلا يوجب فتوراً في الطلب بل يوجب زيادة الجد * والى هذا ذهبت الصوفية والالهيون من الفلاسفة من عند آخرهم حتى ان مشايخ الصوفية صرحوا ولم يتحاشوا * وقالوا من يعبد الله لطلب الجنة أو للحذر من النار فهو لئيم * وانما مطلب القاصدين الى الله أمر أشرف من هذا * ومن رأى مشايخهم وبحث عن معتقداتهم وتصفح كتب المصنفين منهم فهم هذا الاعتقاد من مجاري أحوالهم على القطع ﴿ وفرقة رابعة ﴾ وهم

جماهير من الحمقى لا يعرفون باسمائهم ولا يعدون في زمرة النظار ذهبوا الى ان الموت عدم محض * وان الطاعة والمعصية لاعاقبة لهما * ويرجع الانسان بعد موته الى العدم كما كان قبل وجوده * وهؤلاء لايحل تسميتهم فرقة * فان الفرقة عبارة عن جمع وليس هذا مذهب جمع ولا منسوبا الى ناظر معروف بل هو معتقد أحمق بطال غلبت عليه شهوته * واستولى عليه شيطانه * فلم يقدر على قمع هواه * ولم تسمح له رعونته بأن يعترف بالعجز عن مقاومة الهوى * فيتعلل لنقصانه بان ذلك واجب وانه الحق * ثم أحب ان يساعده غيره فدعا الى البطالة وما جبلت عليه النفس من اتباع الهوى الذي هو أشد حامل الاحمق على المسارعة الى التصديق به لاسيما وقد يحتال بعض الفسقة بنسبة هذا المعتقد الى معروف بدقائق العلوم كارسطوطاليس وأفلاطون أو الى فرقة كالفلاسفة * ويستدرج السامع بان معرفتك لا تزيد على معرفتهم * وقد بحثوا زمانا وما تحصلوا على طائل ولا يشعر ذلك المسكين بتلبيسه فيصدقه لموافقته طبعه ولا يطالبه بالبرهان في نقل المذهب عمن نقله * ولو

أخبره باثر يتعلق به خسران درهم لكان لا يصدقه الا ببرهان ولو قال ان أباك أقرّ لفلان بعشرة الدراهم التى خلفها لك ومعه به سجل فيه خط الشهود لقال ما الحجة فيه واين الشاهد الحيّ الذى يشهد به * وأيّ خبر في السجل المكتوب وفي نقل الخطوط * ثم يصدقه في نقل مذهب من سماه من غير شاهدين يشهد ان على سماعه * ومن غير عرض خط ذلك المذكور * ومن غير عرض تصنيف من تصانيفه ولو بخط غيره ثم لو سمع ذلك المذكور باذنه يصرح بذلك لكان ينبغي ان يتوقف في القبول زاعما انه لا برهان عليه وان كان أخذه تقليداً * فتقليد الانبياء والاولياء والعلماء بل تقليد الجماهير والدهماء من الخلق أولى من تقليد واحد ليس معصوماً من الخطأ فانت ألآن أيها المسترشد بعد ان عرفت هذه المعتقدات لا يخلو حالك فى اعتقاد الفرقة الضالة عن أربعة أقسام * اما ان تكون قاطعا ببطلانه أو ظانا لبطلانه أو ظانا لصحته ظنا غالبا ومجوزا لبطلانه بطريق الامكان البعيد أو قاطعا بصحته وكيف ما كنت فعقلك يوجب عليك الاشتغال بالعلم والعمل

والاعراض عن ملاذ الدنيا ان سلم عليك عقلك وصحت خبرتك — وذلك لايخفى ان كنت قاطعا ببطلانه وان كنت تظن ببطلانه ظنا غالبا تقاضاك عقلك التشمير في طلبه كما يتقاضى العقل تجشم المصاعب في ركوب البحر لطلب الربح * وفي تعلم العلم في أول الشباب لطلب الرياسة عند من يطلبها * وفي نيل الوزارة أو باب من أبواب الكرامة بمقاساة مقدماتها * وعواقب تلك الامور مظنونة وليست مقطوعا بها بل اذا غلب على ظن الحريص على الدنيا ان الكيميا له وجود ويحتمل عنده عدمها وعلم ان تعب شهر يوصله اليها ان كان لها وجود ثم يتنعم بها بقية عمره الذي يمكن ان يكون أقل من شهر وان يكون كثيرا تقاضاه عقله ان يحتمل التعب في ذلك الشهر ويستحقره وان كان معلوما وعاجلا بالاضافة الى ما يظنه وان كان آجلا ولم يكن مقطوعا به * وان كنت تظن صحته ظنا غالبا ولكن بقي في نفسك تجويز صدق الانبياء والاولياء وجماهير العلماء ولو على بعد * فعقلك أيضا يتقاضاك سلوك طريق الأمن واجتناب مثل هذا الخطر الهائل * فانك لو كنت في جوار

ملك وأمكنك ان تتعاطى فى واحد من محارمه مثلا عملا من الاعمال تظن ظنا غالبا انه يقع منه موقع الرضى فيعطيك عليه خلعة ودينارا ويحتمل احتمالا على خلاف الظن الغالب انه يقع منه موقع السخط فينكل بك ويفضحك ويديم عقوبتك طول عمرك * أشار عليك عقلك بان الصواب ان لا تقتحم هذا الخطر فانك ان فعلت وأصبت فزيته دينار لا يطول بقاؤه معك وان اخطأت فنكاله عظيم يبقى معك طول عمرك فليس تفي ثمرة صوابه بغائلة خطئه * ولذلك اذا وجدت طعاما وأخبرك جماعة بأنه مسموم أو شخص واحد حاله دون حال نبيّ واحد فضلا عن ان يقدر على التأييد بالمعجزة وغلب على ظنك كذبه كما غلب على ظنك الآن كذب الانبياء كلهم ولكن جوزت مع ذلك صدقه وعلمت انه ليس في أكله الا التلذذ بطعمه وحلاوته وقت الذوق وان كان مسموما ففيه الهلاك * فعقلك أيضاً يشير عليك باجتناب الخطر ان كنت من زمرة العقلاء * ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه لمن كان يشاغبه ويماريه في أمر الآخرة ان كان الامر على

مازعمت تخلصنا جميعاً * وان كان الامر كما قلت فقد هلكت ونجوت * ولا ينبغي ان تظن ان هذا تشكيك منه في اليوم الآخر ولكنه زجر على حد جهل المخاطب القاصر عن معرفة ذلك بطريق البرهان وهو الذي جرأنا على سلوك هذا المنهاج ليسهل تأمله على أهل البطالة والتقصير في الطاعة لله تعالى * وقد تبين على القطع ان العظيم الهائل ان لم يكن معلوماً فبالاحتمال يتقدم على اليقين المستحقر لأن كون الشيء مستحقراً أو عظيما بالاضافة * فلتنظر الى منتهى العمر وما يصفو من الدنيا للمترفهين وتسير الى ما اعتقده الفرق الثلاث من كمال السعادة الأخروية ودوامها وتعرف بالبديهة استحقار ماترك من الدنيا في عظيم مايعتاض عنها بالاضافة اليها * وان كنت في الحالة الرابعة وهي اعتقاد صحة مذهب الفرقة الرابعة فنخاطبك على حد جهلك وقصورك بوجهين ﴿ أحدها ﴾ انك لم تعتقد هذا المعتقد ببرهان حقيقي ضروري لا يمكن الغلط فيه حتى يقال تنبهت لنوع من الدليل غفل عنه الانبياء والاولياء والحكماء وكافة العقلاء * فان الغلط اذا تطرق لهؤلاء مع كثرتهم

وغزارة علومهم وطول نظرهم وكثرة معجزات أنبيائهم فبماذا تأمن الغلط في اعتقادك وما الذي عصمك * وأقل درجاتك ان يجوز الغلط على نفسك * وان احتمل عندك صدق الجماهير وغلطك التحقت بالحالة الثالثة * وان لم تتسع نفسك لهذا التجويز حتى زعمت انك عرفت بطلان اعتقاد الجماهير واستحالة كون النفس جوهراً باقيا بعد الموت أو معاداً بطريق البعث والنشور كما عرفت أن الاثنين أكثر من الواحد وان السواد والبياض لا يجتمعان * فهذا الآن من سوء المزاج وركاكة العقل ويبعد مثل هذا الاحمق عن قبول العلاج ولمثل هذا قال الله تعالى فيهم (أولئك كالانعام بل هم أضل) ﴿الوجه الثاني﴾ إن هذه الفرقة وان أنكروا السعادة الاخروية فلم ينكروا السعادة الدنيوية * وأعلى السعادات الدنيوية العزة والكرامة والمكانة والقدرة والسلامة من الغموم والهموم ودوام الراحة والسرور * وهذا أيضا لا يفوز به الانسان الا بالعلم والعمل * اما العلم فليس يخفى دوام العز به اذ لا يقبل العزل والابطال بعزل الولاة وابطالهم * ولا يخفى لذة العالم في علمه وفيما

ينكشف له في كل لحظة من مشكلات الامور لا سيما اذا
كان في ملكوت السموات والارض والامور الالهية
وهذا لا يعرفه من لم يذق لذة انكشاف المشكلات * ثم
انها لذة لا نهاية لها لان العلوم لا نهاية لها ولا مزاحمة فيها
لان المعلومات تتسع للطلاب وان كثروا بل استئناس
العالم يزيد بكثرة شركائه اذا كان يقصد ذات العلم لا حطام
الدنيا ورئاستها * فان الدنيا هى التى تضيق بالمزاحمة بل يزداد
سعة بكثرة الطلاب * ثم مع انها اوفى اللذات عند من أنس
بها فهى ادومها اذ المنعم بها عليه هو الله وملائكته ولكن
عند اكبابه على الطلب وتجرده له — ولذلك لا ترى كلا من
الرؤساء والولاة الا وهم في خوف العزل يتشوقون أن
يكون عزهم كعز العلماء * وأما العمل فلسنا نعني به الا رياضة
الشهوات النفسانية وضبط الغضب وكسر هذه الصفات لتصير
مذعنة للعقل غير مستولية عليه ومستسخرة له فى ترتيب
الحيل الموصلة الى قضاء الاوطار * فان من قهر شهواته فهو الحرّ
على التحقيق بل هو الملك — ولذلك قال بعض الزهاد لبعض

الملوك ملكي أعظم من ملكك * فقال كيف قال ﴿من أنت عبده عبدي﴾ وأراد به انه عبد شهواته * وشهواته صارت مقهورة له فعبد الشهوات العاجز عن كسرها وقهرها رقيق واسير بالطبع لايزال في عناء دائم وتعب متواتر ان قضى وطره يوماً عجز عنه أياماً * ثم لايخلو في قضائه عن اخطار وعلائق ومشاق ويضطر الى تقلدها * فتقليل الشهوات تقليل لاسباب الغموم ولا سبيل الى اماطتها الا بالرياضة والمجاهدة وهو المراد بالعمل فاذاً العالم العامل أحسن الناس حالا عند من رأى السعادة مقصورة على الدنيا * فان الدنيا ليست تصفو لاحد وليس يفي جدواها بمشاقها * فالممعن في اتباع الشهوات والمعرض عن النظر في المعقولات شقي في الدنيا باتفاق * وشقي في الآخرة عند الفرق الثلاث الا عند شرذمة من الحمق لا يؤبه لهم ولا يعبأ بهم ولا يعدون في جملة العقلاء رأساً * فقد تبين أن الاستعداد للآخرة بالعلم والعمل ضروري في العقل * وأن المقصر فيه جاهل فان قلت فما بال اكثر الناس مقصرين فيه وهم مؤمنون بالآخرة ﴿ فاعلم ﴾ أن سبب ذلك الغفلة عن التفكر في هذه الامور

التي ذكرناها فان تلك الغفلة مطردة عليهم مستغرقة لاوقاتهم لا ينتبهون عنها ما دامت الشهوات متوالية وهي كذلك وانما المنبه عليها واعظ زكيّ السيرة * وقد خلت البلاد عنه وان فرض على ندور لم يلتفت اليه وان التفت اليه ووقع الاحساس به في الحال وحسن العزم على التجرد للطاعة في الاستقبال هجمت عقب ذلك شهوة من الشهوات وازالت أثر التنبيه وأعادت حجاب الغفلة وعاد العاقل لما نهي عنه ولا يزال هكذا شأن كل واحد الى الموت * وعندذلك لا يبقى له الا التحسر بعد الفوت * ولا يغني ذلك عنه شيئا * فنعوذ بالله من الغفلة فانها منشأ كل شقاوة *

بيان أن طريق السعادة العلم والعمل

فان قلت قد اتضح لي أن سلوك سبيل السعادة حزم العقلاء * والتهاون بها غفلة الجهال ولكن كيف يسلك الطريق من لا يعرفه * فبماذا اعلم بان العلم والعمل هو الطريق حتى اشتغل به فلك في معرفته طريقان (أحدهما) جلي يناسب المنهاج السابق وهو أن تلتفت الى ما اتفق عليه آراء الفرق الثلاث

وقد أجمعوا على أن الفوز والنجاة لا تحصل الا بالعلم والعمل جميعا وان اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل * وكأن العمل متمم له وسائق بالعلم الى أن يقع موقعه ولاجله قال الله تعالى ﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ والكلم الطيب يرجع الى العلم عند البحث فهو الذي يصعد ويقع الموقع * والعمل كالخادم له يرفعه ويحمله * وهذا تنبيه على علو رتبة العلم * ومذهب الفرقة الاولى وهم المتمسكون بالمفهوم الاول للجماهير من ظواهر الشرع غير خاف ربطه النجاة بالعلم والعمل وبيانه لا يمكن أن يحصى * والصوفية والفلاسفة الذين آمنوا بالله واليوم الآخر على الجملة وان اختلفوا في الكيفية كلهم متفقون على أن السعادة في العلم والعبادة * وانما نظرهم في تفصيل العلم والعمل والتوقف مع هذا الاتفاق حمق * فمن استولت عليه علة واتفق كتب الاطباء وأقوالهم مع اختلاف أصنافهم على أن النافع لهذه العلة المبردات فتوقف المريض فيه سفه في عقله بل يقتضي العقل المبادرة اليه * نعم ربما يكون له طريق بعد ذلك الى أن يتحقق ذلك لا عن تقليد للجماهير بل عن

تحقيق لحقيقة العلة ووجه مناسبة المبردات لازالتها فينهض
بصيرا اذا نظر وا ستقل وترقى عن حضيض التقليد والاتباع
الى ذروة الاستبصار — فكذلك قد ادعي الصوفية وفرق
سواهم انه يمكن الوصول الى درك ذلك بالبصيرة والتحقيق
وذلك أن تعرف حقيقة الموت وانه يرجع الى خروج الآلة
عن الصلاح للاستعمال لا الى انعدام المستعمل ﴿ثم تعلم﴾ أن
سعادة كل شيء ولذته وراحتـه في وصوله الى كماله الخاص به
﴿ثم تعلم﴾ أن الكمال الخاص بالانسان هو ادراك حقيقة العقليات
على ماهي عليه دون المتوهمات والحسيات التي يشاركه الحيوانات
فيها ﴿ثم تعلم﴾ أن النفس بالذات متعطشة اليـه * وبالفطرة
مستعدة له * وانما يصرفها عنه اشتغالها بشهوات البدن وعوارضه
مهما استولت عليه ومهما كسر الشهوة وقهرها وخلص العقل
عن رقها واستعبادها اياه * وا كب بالتفكر والنظر على مطالعة
ملكوت السموات والارض بل على مطالعة نفسه وما خلق
فيها من العجائب فقد وصل الى كماله الخاص * وقد سعد في
الدنيا اذ لا معنى للسعادة الا نيل النفس كمالها الممكن لها وان

كانت درجات الكمال لا تنحصر ولكن لا يشعر بتلك اللذة ما دام في هذا العالم ممنوعاً بالحس والتخيل وعوارض النفس كالذي عُرّض للمطعم الالذ وفي ذوقه خدرٌ فيزول فيشعر باللذة المفرطة * فالموت مثل زوال الخدر فقد سمعتُ مقدّما من متبوعي الصوفية يصرح بأن السالك الى الله تعالى يرى الجنة وهو في الدنيا والفردوس الاعلى معه في قلبه ان أمكنه الوصول اليه * وانما الوصول اليه بالتجرد عن علائق الدنيا والاكباب بجملة همته على التفكر في الامور الالهية حتى ينكشف له بالالهام الالهي جليها — وذلك عند تصفية نفسه عن هذه الكدورات * والوصول الى ذلك هو السعادة والعمل هو المعين على الوصول اليه * فهؤلاء فرقة ادعوا المعرفة بمناسبة العلم والعمل للسعادة — فهذا هو المنهج الثاني في الوصول الى اليقين * فما قالوه سديد وهو بزعمهم لا يعرف الا بالمجاهدة والرياضة كما قال الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ فعليك بالمجاهدة والتجرد للطلب * فربما ينكشف لك حقيقة الحال بالنفي أو الاثبات

ويكفيك فى الشروع فى العلم والعمل اتفاق الثلاث عليه اذ لم يكن غرضك من السؤال الجدال بل كان غرضك طلب الفوز كالمريض الذي يطلب الشفاء دون الجدال اذ بغيته اتفاق أصناف الاطباء فيه *

﴿ بيان تزكية النفس وقواها واخلاقها على سبيل المثال والاجمال ﴾

فان قلت قد اتضح لي ان الاشتغال بالعلم والعمل واجب ولكن العلوم كثيرة وكذلك الاعمال فهي مختلفة بالنوع ثم المقدار * وليس يكفى العلم بأن العلة يلائمها المبردات ما لم يعلم نوع المبرد وقدره ووقت استعماله في الموالات أو التفريق الى غير ذلك مما يتطرق الى تفاصيل اضطرارية فلا بد من بيان النوع وبيان الكمية ثم الكيفية فى الاشتغال به

﴿ فاعلم ﴾ ان الناس فيما سألته فريقان * قانع بالتقليد وهو مستغن عن البحث ولكن ينهج السبيل الذي رسمه له مقلده * وفريق آخر لا يقلدون تقليد المريض للطبيب بل يتشوقون الى ان ينالوا رتبة الأطباء * والخطب فى هذا عظيم والمدى طويل

وشروط هـذا الأمر لاتظهر فى الأعصار الا لواحـد فرد شاذّ *ولـكنا ننبئك بما يرقيك عن حضيض التقليد ويهديك الى سواء الطريق * فان ساعدك التوفيق وانبعث من نفسك داعيـة الاستتمام توصلت اليـه بالمجاهـدة ولا يمكنك معرفة ماتطلبه الا بأن تعرف أولا نفسك وقواها وخواصها فكيف يشتغل بمخالطـة زيد من لا يعرف زيدا والمجاهـدة معالجة للنفس بتزكيتها لتفضى الى الفلاح كما قال الله تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ومن لم يعرف الثوب لا يتصور منه ازالة وسخه * ولما كان ملاك الأمر معرفة النفس عظم الله أمره ونسبه الى نفسه تخصيصا واكراما فقال تعالى (انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) فنبه على ان الانسان مخلوق من جسم مدرك بالبصر ونفس مدركة بالعـقل والبصيرة لا بالحواس وأضاف جسـده الى الطين وروحه الى نفسه وأراد بالروح مانعنيه بالنفس منبها لأرباب البصائر ان النفس الانسانية من الامور الآلهية وانها أجل وأرفع من الاجسام الخسيسة الأرضية ولذلك قال تعالى

ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وقيل كان فى كتب الله المنزلة إعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وقال عليه السلام (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) وقال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) تنبيها على تلازم الامرين وان نسيان أحدهما مع نسيان الآخر ولذلك قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم) وقال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وما أراد به ظاهر الجسد فان ذلك يبصره البهائم فضلا عن الناس وعلى الجملة من جهل نفسه فهو بغيره أجهل ومن رحمة الله على عباده ان جمع في شخص الانسان على صغر حجمه من العجائب مايكاد بوصفه يوازي عجائب كل العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم ليتوصل الانسان بالتفكر فيها الى العلم بالله عز وجل فان قلت فصف لى من أمر النفس جملة مشوقة الي التفصيل ان لم تقدر على استقصاء القول فيه حذرا من التطويل (فاعلم) ان للنفس الحيوانية بالجملة قوتين احداهما محركة والاخرى مدركة والمحركة قسمان باعثة ومباشرة للحركة فالمباشرة

للحركة هي القوة التي تنبعث في الاعصاب والعضلات ومن شأنها ان تشنج العضلات فتجذب الاوتار والرباطات المتصلة بالاعصاب الى نحو جهة المبدأ أو ترخيها فتصير الاعصاب والرباطات الى خلاف جهة المبدأ وهذه خادمة للمحركة الباعثة * والمراد بالباعثة القوة النزوعية الشوقية التي تبعث على الحركة مهما حصل في الخيال صورة شيء مطلوب أو مهروب عنه فتحمل القوة المباشرة للحركة على التحريك ولهذه الباعثة شعبتان شعبة تسمى شهوانية وهي تبعث على تحريك يقرب من الاشياء التي يعتقدها صاحبها ضرورية أو نافعة طلبا للذة والأخرى تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك يدفع به الشيء الذي يعتقد فيه انه ضار أو مفسد طلبا للغلبة (وأما المدركة) فقسمان ظاهرة وباطنة أما الظاهرة فهي الحواس الخمس ولسنا نخوض في تحقيقها وان كان القول في معرفة حقائقها طويلا جدا ولكن غرضنا ذكر الجملة * وأما الباطنة فخمسة الاولى الخيالية وهي التي تبقى فيها صور الاشياء المحسوسة بعد غيبتها فان صورة المرئي يبقى في الخيال بعد

تغميض العين فتلك القوة التي فيها انطبعت صورة المرئي تسمى خَيَالية وتسمى حسا مشتركا اذ يبقي فيه اثر مدركات الحواس الخمس كلها * الثانية الحافظة لذلك فان مايمسك الشخص به صورة الشيء غير مايقبله به والشمع يمسك النقش بيبوسته ويقبله برطوبته والماء يقبله ولا يمسكه وهذه القوى أعني القابلة لمدركات الحواس الخمس والحافظة لها في التجويف الاول من مقدم الدماغ فهو مسكنها وبحلول آفة فيه تختل هذه القوة وعرف ذلك بعلم الطب (الثالثة) القوة الوهمية وهي قوة مترتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ يدرك معاني غير محسوسة من المحسوسات الجزئيه كالقوة الحاكمة في الشاة بان الذئب مهروب عنه وان الولد معطوف عليه (الرابعة) الحافظة لهذه المعاني التي ليست محسوسة كما كانت الثانية حافظة للصور فهي حافظة للمعاني وتسمى ذاكرة ومسكنها التجويف المؤخر من الدماغ ولقد بقي الاوسط وهو مسكن القوة المفكرة وهي مرتبة بين خزانة الصور وخزانة المعاني وشأنها ان تركب بعض مافي الخيال مع بعض وتفصل بعضها

عن بعض بحسب الاختيار والعادة جارية بذكر هذا فى القوى المدركة والاولى ان يذكر في جملة القوى المحركة اذ ليس لها ادراك شيء الا بنوع حركة بتفصيل مركب وتركيب مفصل مما هو حاصل في الخيال ولا يقدر على وضع شيء مستجد ليس هو موجودا في الخيال بحال الا بمجرد التفصيل والتركيب * وهذه القوى التي ذكرناها يشارك فيها الحيوانات الانسان الا المفكرة فان في الحيوانات شيأ يقاربه يسمى المتخيلة ولا تنتهي قوته الى حد قوة المتفكرة فى الانسان (وأما النفس الانسانية) من حيث هى انسانية فينقسم قواها الى قوة عالمة وقوة عاملة وقد تسمى كل واحدة منهما عقلا ولكن على سبيل الاسم المشترك اذ العاملة سميت عقلا لكونها خادمة للعالمة مؤتمرة لها فيما ترسم فأما العاملة فهى قوة ومعنى للنفس هو مبدأ حركة بدن الانسان الى الافعال المعينة الجزئية المختصة بالفكر والروية على ما تقتضيه القوة العالمة النظرية التي سنذكرها وينبغي ان يكون سائر قوى البدن مقموعة مغلوبة دون هذه القوة العملية بحيث

لا تنفعل هـذه القوة عنها وتلك القوى كلها تسكن وتتحرك
بحسب تأديب هـذه القوة واشارتها فان صارت مقهورة
حدثت فيها هيآت انقيادية للشهوات تسمى تلك الهيآت
أخلاقا رديئة وان كانت متسلطة حصلت لها هيئة استيلائية
تسمى فضيلة وخلقا حسنا ولا يبعد ان يجعل الخلق اسما لما
يحصل في سائر الشهوات والقوى من الانقياد والتأدب أو
هذه القوة من الاستيلاء والتأديب وبالجملة لا يبعد ان يكون
الخلق واحداً وله نسبتان اذ هيئة الاستيلاء من هـذه القوة
يلازمها هيئة الانقياد من سائر القوى وهو المراد بالخلق
المحمود * وبالجملة فالنفس أعز من أن يدرك بالحواس الخمس
بل تدرك بالعقل أو يستدل عليها بآثارها وأفعالها ولها نسبتان
نسبة الى الجنبة التي تحتها ونسبة الى الجنبة التي فوقها ولها بحسب
كل جنبة قوة بها ينتظم العلاقة بينها وبين تلك الجنبة فهـذه
القوة العملية هى القوة التى لهـا بالقياس الى الجنبة التى دونها
وهى البدن وتدبيره وسياسته وأما القوة العالمة النظرية التى
سنذكرها فهى لهـا بالقياس الى الجنبـة التى فوقها لتنفعل

وتستفيد منها أعني بالجنبة الملائكة الموكلة بالنفوس الانسانية لافاضة العلوم عليها فان العلوم انما تحصل فيها من الله تعالى بواسطة قال الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فكأن للنفس منا وجهين وجه الى البدن ويجب ان يكون هذا الوجه مستوليا غير قابل البتة ولا منفعل عن عوارض البدن وشهواته ووجه الى الجنبة الشريفة العالية ويجب ان يكون هذا الوجه دائم القبول عما هنالك مستمدا التأثير فانها مهبط اسباب سعادته وهذه القوة النظرية العالمة هي التي من شأنها ان تتلقى المعاني الكلية المجردة عن العوارض التي تجعلها محسوسة جزئية كما ذكرنا معنى الكلي فى كتاب معيار العلم ثم هذه القوة بالنسبة الى العلوم التى تحصل فيها على ثلاث مراتب (أولاها) كنسبة حال الطفل الى الكتابة فان الطفل فيه قوة للكتابة ولكن قوة بعيدة من الفعل فكذا قوة العلم له (المرتبة الثانية) ان يحصل فيها جملة من المعقولات الاولية الضرورية كحال الصبي المميز المراهق للبلوغ ويكون نحو هذه القوة للصبي بالاضافة الى الكتابة بعد

ان عرف الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه لم يكن كذلك في المهد اذ ليس فيه على الكتابة الا قوة مطلقة بعيدة من الفعل (المرتبة الثالثة) ان تحصل المعقولات الكسبية كلها بالفعل وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها ومهما رجع تمكن منها وحاله في العلوم حال الكاتب الحاذق الصانع الغافل عن الكتابة فانه مستعد لها بالقوة القريبة استعداداً في غاية الكمال وهذه نهاية الدرجة الانسانية ولكن في هذه الرتبة درجات لا تحصى تختلف بكثرة المعلومات وبقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها وانها تحصل بالالهام الالهى وبتعلم واكتساب وانه سريع الحصول أو بطيء الحصول وفي هذا العلم تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء وبحسب التفاوت فيه تتفاوت مناصبهم ودرجات الرقى فيه غير محدودة ولا محصورة واقصى الرتب درجة النبي الذي ينكشف له كل الحقائق أو اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهى في أسرع وقت وهذه هي السعادة التي تحصل للانسان تقربه الى

الله تعالى تقريبا لا بالمكان والمسافة ولكن بالمعنى والحقيقة والأدب يقتضي قبض عنان البيان في هذا المقام فقد انتهى الأمر بطائفة الى ان ادعوا اتحادا وراء القرب فقال بعضهم سبحانى ما اعظم شأني وقال آخر أنا الحق وعبر آخر بالحلول وعبر النصارى باتحاد اللاهوت والناسوت حتى قالوا فى عيسى صلوات الله عليه انه نصف الله * تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً وبالجملة فمنازل السائرين الى الله تعالى لاتنحصر وانما يعرف كل سالك المنزل الذى قد بلغه فى سلوكه فيعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته الا بطريق الجملة والايمان بالغيب فلا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح لاولياء الله وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته (وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) فهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود الالهي غير مضنون بها على أحد ولكن لابد من الاستعداد للقبول بتزكية

النفس وتطهيرها عن الخبث والكدورة وكما ان الصورة المتلونة ليس فيها منع من أن تنطبع فى الحديد الخبيث الا الحجاب من جهة الحديد في صدئه وخبثه وافتقاره الى صيقل يجلوه ويزيل خبثه ويجليه فهكذا ينبغي أن تعتقد أن الحجاب من جانبك لا من جانب الرحمة الالهية ولذلك قال عليه السلام (ان لربكم فى أيام دهركم نفحاتٍ الا فتعرّضوا لها) ولذلك عبّر عن غاية الجود والبذل من ذلك الجانب بأدل العبارات على الشوق والرغبة فقال (ينزل الله كل ليلة الي سماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الاخير فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مسترحم فأرحمه) وقال (طال شوق الابرار الى لقائي وأنا الى لقائهم أشد شوقا) وقال (من تقرب الى شبراً تقربت اليه ذراعا ومن أتاني يمشى أتيته هرولة) وعليك ان تستقرئ من القرآن والاخبار ما يناظر ذلك[1] فانه خارج عن الحصر والاحصاء

---

(١) فمن الاخبار (لايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتي أحبه الحديث) ومنها لولا أن الشياطين تحوم حول قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض

﴿ بيان ارتباط قوي النفس بعضها ببعض ﴾

اعلم ان هذه القوى متفاوتة الرتب فان بعضها أريدت لنفسها وبعضها أريدت لغيرها وبعضها خادمة وبعضها مخدومة والرئيس المطلق منها هى التى تراد لنفسها وتراد غيرها لها وليس ذلك الا الرتبة الاخيرة وفيها تتفاوت رتب الاولياء والانبياء فان الانسان لم يخلق الا لما هو من خاصيته وما عدا القوى المخصوصة بالنفس الانسانية يشاركها فيها الحيوانات فان الانسان خلق على رتبة بين البهيمة والملك وفيه جملة من القوى والصفات فهو من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على حائط وانما خاصته التي لأجلها خلق قوة العقل ودرك حقائق الاشياء فمن استعمل جميع قواه على وجه التوصل بها الى العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا كما قال (ان هذا الا ملك كريم) ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما يأكل الانعام فقد نزل الى أفق البهائم فيصير اما غمراً كثور

واما شرها كخنزير واماصرعة ككلب واما حقوداً كجمل أو متكبراً كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد * وبالجملة من تصفح القوى التي ذكرناها عرف ان مقتضيات العقل من أرفعها وأعلاها فينظر بعين التعجب كيف يخدم بعضها لبعض خدمة ضرورية عليها فطرت ولا تستطيع مخالفة أمر الله تعالى فيها فان العقل هو الرئيس المخدوم ويخدمه وزيره وهو أقرب الاشياء اليه وهو العقل العملي الذي سميناه قوة عاملة بحسب مراسم العقل لان العقل العملي لاجل تدبير البدن والبدن آلة النفس ومركبها يقتنص به بواسطة الحواس مبادئ العلوم التي تستنبط منها حقائق الامور ثم العقل العملي يخدمه الوهم والوهم يخدمه قوتان قوة بعده وقوة قبله * فالقوة التي بعده هي القوة الحافظة لما أدركه وأداه اليه والقوة التي قبله هي جميع القوى الحيوانية على الترتيب الذي سنذكره ومن جملتها المتخيلة أعني المفكرة ويخدمها قوتان مختلفتا المأخذ فالقوة الرغبية الشوقية تخدمها بالانبعاث

لأن انبعاثها الى الحركة[1] بالتخيل والفكر والقوة الحافظة للصور التي في الحس المشترك تخدمها بقبول التركيب والتفصيل فيما فيها من الصور ثم هذان رئيسان لطائفتين * اما الحافظة للصور فيخدمها المشترك برفع الصور اليها حتى تحفظ * وأما القوة النزوعية فتخدمها الشهوة والغضب * والشهوة والغضب تخدمهما القوة المحركة للعضل وعندها تنتهي القوى الحيوانية والقوى الحيوانية بالجملة يخدمها النباتية والنباتية ثلاث المولدة والمربية والغاذية ورأسها المولدة وتخدمها المربية والغاذية تخدمها ثم يخدم هذه قوى أربع وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة اذ لا بد في النبات من قوة جاذبة للغذاء اليه ثم ماسكة ثم هاضمة تهضم ما أمسكته الماسكة ثم دافعة تدفع فضله والدافعة هي الخادمة التي لا خادم لها وكأنها كالكناس في نظام أمر البلد ثم الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة تخدم القوى

(١) هكذا بالاصل ولعل الاصح لان انبعاثها الى التحريك فان الشوقية تبعث على التحريك لا انها تتصف بمباشرة الحركة الجسمانية فتدبر انتهى مصححه

الهاضمة والجاذبة والماسكة والدافعة وهذه آخر درجات القوى في الأجسام وقد ضرب للقوى المذكورة مثال يقربها الى افهام العوام فقيل القوة المفكرة مسكنها وسط الدماغ بمنزلة الملك يسكن وسط المملكة * والخيالية مسكنها مقدم الدماغ جارية مجرى صاحب بريده اذ مجتمع الاخبار عنده والحافظة التي مسكنها مؤخر للدماغ جارية مجرى خادمه * والقوة الناطقة جارية مجرى ترجمانه * والعاملة جارية مجرى كاتبه * والحواس جارية مجرى الجواسيس وأصحاب الاخبار الصادقة اللهجة فيما يرفعونه من الاخبار فيلتقط كل واحد الخبر من الصقع الذي وكل به اذ البصر موكل بعالم الالوان والسمع بالاصوات وهكذا الجميع * فيرفعون هذه الاخبار الى صاحب البريد وصاحب البريد يسقط مايراه حشواً ويرفع الباقي صافياً الى حضرة الملك فيميزه ويعرف منافعه ومضاره ويسلمه لخادمه الى وقت الحاجة فحينئذ يتقدم باخراجه وكما ان الاعمال التي يتولاها الملك بنفسه أشرف مما يستعمل فيه غيره — فكذلك ما يتولاه النفس التي هي الملك بالحقيقة بواسطة المفكرة من

الروية والاعتبار والقياس والفراسة واستنباط المجهول أشرف مما تستعمل فيه الخدم * وهذا المثال قريب مما روي ان كعب الاحبار قال دخلت على عائشة فقالت الانسان عيناه مهاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب طاب جنوده[1] فقالت * هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فهذه جمل من أحوال النفس تلوناها عليك على سبيل الاقتصار وانها بعض عجائب النفس * ولو نظرت في تشريح الاعضاء وخضت عن عدد العروق والاعصاب والعضل والعظام والشرايين والاوردة ثم الى الاعضاء الآلية التي أعدت للنفس ولجذب الطعام ثم لهضمه ثم لدفعه والى الآلات التي خلقت للتناسل * لرأيت العجائب في خدمة بعضها بعضا بالضرورة * ثم بعد فراغك من تشريح الاجسام نظرت في تفصيل قوى تلك الاجسام واستقصيته بمعرفة حقائق العلوم الطبيعية لقضيت منها آخر العجب * فتعساً لمن كفر بالله وغفل عن قوله (وفي الارض

---

(١) هكذا بالاصل ولعل الاصح ثم قالت

آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) بل في كل شئ دليل على انه واحد * ومن لم يؤمن بالله على الجملة فليس من العقلاء[١] وهو أخس من ان يخاطب بمثل هذه الكلمات * وانما كلامنا مع من صدق بالجملة فندعوه الى البحث عن صنع الله ليزداد بسببه يقينه وايمانه ويتفاقم به تعظيمه واجلاله * فكل ما لا يدرك بالحواس وانما يدرك بالعقل بواسطة آثاره فسبيل استقصاء معرفته استقصاء النظر في آثاره بل نضرب مثالا يقرب من فهم الخلق كافة * فما من فقيه الا وقد اعتقد في المذكورين من العلماء مثل أبي حنيفة والشافعي وغيرهما رتبة تقتضيها التعظيم ـ وهذا يشترك فيه الخلق ولكن ليس من يتصفح تصنيف مصنف فيرى فيه عجائب صنعه وبدائع حذقه يبقى اعتقاده في التعظيم على ما كان عليه قبل معرفته بل لا يزال يطلع على صفة غريبة له في كلامه وتصنيفه أو شعره ويزداد نفسه له تعظيما وتوقيراً واعتقاداً * فمن عرف ان الله

(١) وهذا شبيه بما حكي عن أبي حنيفة وهو قوله لاعذر لاحد في الجهل بخالقه لما يري من آثار قدرته

صانع العالم كمن عرف ان زيدا متميز عن غيره بكونه ناظم ديوان ومصنف كتاب وأين هذا من اعتقاد من تصفح الشعر فرأى فيه عجائبه وطالع التصنيف وهو من أهل الفضل فرأى فيه غرائبه * فهذا يعتقد عظمته ورتبته اعتقادا راسخا عن تحقيق وبصيرة * والآخر يعتقد اعتقادا مجملا ضعيفا غير مدرك بالبصيرة والتحقيق - وهذا فرق بين رتبة العوام وذوي البصائر فى هذا الامر الواحد والعالم بما فيه من العجائب تصنيف الله وتأليفه وابداعه واختراعه والنفس جزؤ من أجزاء العالم وكل جزء من أجزاء العالم مشحون بالعجائب فلا يزال الباحث عنها مستفيدا زيادة اعتقاد وتأكيد ايمان ولذلك حث الله (١) على التفكر في الانفس والآفاق وملكوت السموات والارض *

---

(١) ومن ثم لما نزلت ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب قال عليه السلام ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها

﴿ بيان نسبة العمل من العلم وانتاجه السعادة التى اتفق عليها المحققون من الصوفية بأجمعهم وساعدهم من النظار طوائف سواهم ﴾

ان تأثير العمل لازالة مالا ينبغي والسعى فى العلم سعي في تحصيل ماينبغي وازالة مالا ينبغى شرط لتفريغ المحل لماينبغي والمشروط هو المقصود وهو أشرف من الشرط * ومثاله من أراد استيلاد امرأة بهاعلة تمنع العلوق فعليه وظيفتان ﴿ احداهما ﴾ اماطة العلة المفسدة للحمل المانعة من العلوق ﴿ والاخرى ﴾ ايداع النطفة بعد ازالة العلة المانعة * فالاولى شرط للثانية * والثانية هي الغاية المطلوبة * واذا فرضت داراً بنيت لملك رتبة تلك الدار نزول الملك فيها * وقد اغتصبها القردة والخنازير * فجمال تلك الدار وكمالها موقوف على أمرين ﴿أحدهما﴾ ازعاج القردة النازلين فيها بغير حق ﴿والآخر﴾ نزول المستحق * واذا فرضنا مرآة صدئة قد ستر الخبث صفاها ومنع انطباع صورنا فيها * فكمال المرآة ان تستعد لقبول الصور فتحكيها كما هي عليها * وعلى مكملها وظيفتان ﴿أحداهما﴾ الجلاء والصقل وهى ازالة الخبث الذي ينبغى

ان لا يكون ﴿ والثانيـة ﴾ ان يحاذى بها نحو المطلوب حكاية صورته (١) فكذلك نفس الآدمى مستعدة لان تصير مرآة يحاذى بها شطر الحق في كل شيء فتنطبع به كأنها هو من وجه وان كانت غيره من وجه آخر كما فى الصورة والمرآة وكالماء في مثل هذه الدرجة وهذه الخاصة هي التى فارقت بها ما تحتها من الحيوانات اذ هذا الاستعداد مسلوب عن الحيوانات كلها سوى الآدمي بالقوة والفعل جميعا كما انسلب عن التراب والخشب الاستعداد لحكاية الصور وان يكون مرآة لها وهو موجود بالفعل أبدا للملائكة لا يفارقها كما انه موجود للماء الصافي فانه يحكى الصورة بطبعه حكاية مخصوصة وهو موجود للآدمى بالقوة لا بالفعل *فان جاهد نفسه التحق بأفق الملائكة* وان استمر على الاسباب الموجبة لتراكم الخبث على مرآة النفس باتباع الشهوات إسودّ قلبه وتراكمت ظلمته وبطل بالكلية استعداده والتحق بأفق البهائم وحرم سعادته وكماله حرمانا أبديا لاتدارك له فاذا العمل معناه كسر الشهوات بصرف النفس عن صوبها

(١) قوله حكاية نائب فاعل لاسم المفعول قبله وهو لفظ المطلوب

الى الجنبة العالية الآلهية ليمحي عن النفس الهيئات الخبيثة والعلائق الردية التى ربطتها بالجنبة السافلة حتى اذا محقت تلك العلائق أو ضعفت حوذي بها نحو النظر في الحقائق الآلهية ففاضت عليه من جهة الله تعالى تلك الأمور الشريفة كما فاضت على الاولياء والانبياء والصديقين ـ وذلك صيد ينفق على قدر الرزق وباحكام الاصل فيه يزيد الاسترزاق كما يعرض من زيادة الاسترزاق بالاسباب فى اقتناص الصيد بل فى اقتناص الربح والتجارة بل فى اقتناص فقه النفس * فان القليل بالاجتهاد قد يجاوز حد المجتهدين بمزيد زكاء فطرى فكذا طهارة النفس عن هذه العلائق فى أول الفطرة فى غاية الاختلاف * ثم الجهد أيضا يختلف وينشأ من ذلك تفاوت لا ينحصر ـ فكذا سعادة الآخرة * ففيضان هذه الرحمة من الله عز وجل على النفس غاية المطلوب وهو عين السعادة التى للنفس بعد الموت ولكنها مشروطة بازالة العلائق ومحو الصفات الردية التى تأكدت للنفس باتباع الشهوات * فاذا العمل يرجع الى مجاهدة النفس بازالة مالا ينبغي * واذا نسب

الي اتباع الشهوات ظهرت فضيلتها * واذا نسب الى تحصيل ما ينبغي كانت رتبتها منه مرتبة الشرط من المشروط والخادم من المخدوم وما أريد لغيره بالنسبة الى ما أريد لنفسه * وعليه نبه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال ﴿ الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الاذى من الطريق ﴾ والمجاهدة بالعبادات أكثر اغراضها اماطة الاذى عن الطريق * ولقائل ان يقول المراد بالحديث التقاط الزجاج والعظم والحجارة من الشوارع وان هذا هو السابق الى فهم الاكثرين * ولقائل آخر ان يقول ان الناس يتفاوتون في فهم معاني الالفاظ على حسب تفاوت رتبهم ـ ولذلك قال عليه السلام ﴿ نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها كما سمعها فربّ حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ﴾ فلولا ان في ألفاظه ما يسبق الى فهم غير الفقيه خلاف ما يسبق الي فهم الفقيه لما أكد الوصية بذلك * ثم ليت شعري اذا عينت الكثرة هل يوجد الحق في جانب الفقيه أو الافقه أوفى جانب غيرهم * ولا شك ان هذا عزيز نادر والغالب خلافه * فالسابق الى فهم

الجماهير يكاد الحق يجانبه وينحاز الى مايفهمه الفقيه والافقه لاسيما في لفظ لا يصرح بالتخصيص فان لفظ الاذى عام ولفظ الطريق عام * ولو أريد الخاص لذكر الزجاج أو المدر ونبه به على أمثاله - وذلك الظاهر أيضا مندرج تحت العموم فانه بذلك العمل أيضا مصلح نفسه ومهذب خلقه ومميط عن النفس رذيلة الغفلة والقساوة وقلة الشفقة على ماسنذكره فى تفصيل سوء الاخلاق وحسنها * فقد عرفت ان سعادة النفس وكمالها ان تنتقش بحقائق الامور الالهية وتتحد بها حتى كانها هى وان ذلك لايكون الا بتطهير النفس عن هيئات ردية تقتضيها الشهوة والغضب * وذلك بالمجاهدة والعمل فالعمل للطهارة والطهارة شرط ذلك الكمال * ولذلك قال عليه السلام بني الدين على النظافة *

﴿ بيان مفارقة طريق الصوفية فى جانب العلم طريق غيرهم ﴾

اعلم ان جانب العمل متفق عليه وانه مقصود لمحو الصفات الردية وتطهير النفس من الاخلاق السيئة ولكن جانب العلم مختلف فيه وتباين فيه طرق الصوفية طرق النظار من

أهل العلم فان الصوفية لم يحرّضوا على تحصيل العلوم ودراستها وتحصيل ماصنفه المصنفون في البحث عن حقائق الامور بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومه وقطع العلائق كلها والاقبال بكل الهمة على الله تعالى * ومهما حصل ذلك فاضت عليه الرحمة وانكشف له سر الملكوت وظهرت له الحقائق وليس عليه الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار النية مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بالانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة اذ الاولياء والانبياء انكشف لهم الامور وسعدت نفوسهم بنيل كمالها الممكن لها لا بالتعلم بل بالزهد في الدنيا والاعراض والتبري عن علائقها والاقبال بكل الهمة على الله تعالى * فمن كان لله كان الله له حتى ان في الوقت الذي صدقت فيه رغبتي لسلوك هذا الطريق شاورت متبوعا مقدماً من الصوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فنهني وقال السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية بحيث لا يلتفت قلبك الى أهل وولد ومال ووطن وعلم وولاية بل تصير الى حالة يستوي عندك وجودها وعدمها * ثم تخلو بنفسك

في زاوية تقتصر من العبادة على الفرائض والرواتب وتجلس فارغ القلب مجموع الهمّ مقبلا بذكرك على الله تعالى *وذلك في أول الامر بان تواظب باللسان على ذكر الله تعالى فلا تزال تقول «الله الله» مع حضور القلب وادرا كه الى أن تنتهي الى حالة لو تركت تحريك اللسان لرأيت كان الكلمة جارية على لسانك لكثرة اعتياده * ثم تصير مواظباً عليه الى أن يمحي أثر اللسان فتصادف نفسك وقلبك مواظبين على هذا الذكر من غير حركة اللسان* ثم تواظب الى أن لا يبقى في قلبك الا معنى اللفظ * ولا يخطر ببالك حروف اللفظ وهيئات الكلمة بل يبقى المعنى المجرد حاضراً في قلبك على اللزوم والدوام * ولك اختيار الى هذا الحدفقط * ولا اختيار بعده لك الا في الاستدامة لدفع الوساوس الصارفة* ثم ينقطع اختيارك فلا يبقى لك الا الانتظار لما يظهر من فتوح ظهر مثله للاولياء وهو بعض مايظهر للانبياء قد يكون أمراً كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر فان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان يثبت امتدّ ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق

وقد لا يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله فيه لا تحصى لتفاوت خلقهم وأخلاقهم * فهذا منهج الصوفية * وقد ردوا الامر الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط * وأما النظار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وافضاه الى المقصد وهو أكبر أحوال الاولياء والانبياء * ولكن استوعروا هذا الطريق واستبعدوا إفضاه الى المقصود * وزعموا أن محو العلائق الى ذلك الحد بالاجتهاد كالممتنع وان حصل في حالة فثباته أبعد منه وأدنى وسواس وخاطر يشوش * وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن ويفضى الى الماليخوليا * فاذا لم تكن النفس قد ارتاضت بالعلوم الحقيقية البرهانية اكتسبت بالخاطر خيالات تظنها حقائق تنزل عليها * فكم من صوفي بقي في خيال واحد عشر سنين الى أن تخلص عنه ولو كان قد اتقن العلوم أولا لتخلص منه على البديهة * فالاشتغال بتحصيل العلوم بمعرفة معيار العلم وتحصيل براهين العلوم المفصلة أولى فانه يسوق الى المقصود سياقة موثوقا بها كما يوثق بالاجتهاد في أن يحصل

فقه النفس * وقد كان عليه السلام فقيه النفس من غير اجتهاد
لكن لو اراد مريد ان ينال رتبته بمجرد الرياضة فقد توقع
توقعا بعيدا فيجب تحصيل نفس العلوم الحقيقية فى النفس
بطريق البحث والنظر على غاية الامكان * وذلك بتحصيل
ما حصله الاولون أولا * ثم لا بأس بعد ذلك بطلب لما لم
ينكشف بالاستظهار للخلق الباحثين عن الامور الالهية فما لم
ينكشف للخلق اكثر مما انكشف * وهذا تباين الفريقين * وقد
خطر لي مثال لا يبعد أن يكون منبها للافهام الضعيفة المفتقرة
الى الامثلة المحسوسة فى درك الحقائق العقلية ومعرفا لوجه
الفرق بين الفريقين * فقد حكى أن أهل الصين والروم تباهوا
بحسن صناعة النقش والتصوير بين يدي بعض الملوك * فاستقر
رأي الملك على ان يسلم اليهم صفة ينقش أهل الصين منها
جانباً واهل الروم جانبا ويرخي بينهم حجاب بحيث لا يطلع
كل فريق على صاحبه * فاذا فرغوا رفع الحجاب ونظر الى
الجانبين وعرف رجحان من رجح من الفريقين ففعل ذلك
فجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة مالا ينحصر * ودخل

أهل الصين وراء الحجاب من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه والناس يتعجبون من توانيهم في طلب الصبغ * فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين انّا أيضا قد فرغنا * فقيل لهم كيف فرغتم ولم يكن معكم صبغ ولا اشتغلتم بنقش * فقالوا ماعليكم ارفعوا الحجاب وعلينا تصحيح دعوانا فرفعوا الحجاب واذا بجانبهم وقد تلألأ فيه جميع الاصباغ الرومية الغريبة اذ كان قد صار كالمرآة لكثرة التصفية والجلاء فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء وظهر فيه ماسعى في تحصيله غيرهم فقدّر كأن النفس محل نقش العلوم الالهية * ولك في تحصيله طريقان ﴿أحدهما﴾ تحصيل عين النقش كطريق أهل الروم ﴿والثاني﴾ الاستعداد لقبول النقش من خارج والخارج ههنا اللوح المحفوظ ونفوس الملائكة فانها منقوشة بالعلوم الحقيقية نقشا بالفعل على الدوام كما ان دماغك منقوش بالقرآن كله ان كنت حافظا له — وكذلك جملة علومك لا نقشا يحسّ ويبصر ولكن نوعا من الانتقاش عقليا ينكره من اقتصرت به خساسة نفسه على المحسوسات ولم يترق عنها *

﴿ بيان الأولى من الطريقين ﴾

فان قلت فقد مهدت للسعادة طريقين متباينين فايهما أولى عندك ﴿فاعلم﴾ أن الحكم في مثل هذه الامور بحسب الاجتهاد الذى يقتضيه حال المجتهد ومقامه الذي هو فيه * والحق الذي يلوح لي والعلم عند الله فيه ان الحكم بالنفي أو الاثبات في هذا على الاطلاق خطأ بل يختلف بالاضافة الى الاشخاص والاحوال * فكل من رغب في السلوك فقد كبر شأنه * فالاولى به أن يقتنع بطريق الصوفية وهو المواظبة على العبادة وقطع العلائق فان البحث عن العلوم الكسبية لتحصل ملكة ثابتة فى النفس شديد ولا يتيسر الا فى عنفوان العمر * والتعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر * ومن العناء رياضة الهرم * وقيل لاحد الا كابر من أراد أن يتعلم شيخا مايفعل * فقال إغسل مسحا فساه يبيض * وقد خرج من هذا ان الاولى باكثر الخلق الاشتغال بالعمل والاقتصار من العلم على القدر الذي يعرف

﴿ تنبيه ﴾ وقع بصفحة ٤٧ فى السطر الخامس تحريف صحته هكذا * ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف للعلماء الباحثين الخ

به العمل فان الاكثر لا ينتبهون لهذا الامر في عنفوان الشباب وان تنبه في عنفوان شبابه نظر الى طبعه وزكائه * فان علم انه لا يستعد لفهم الحقائق العقلية الدقيقة وجب عليه أن يشتغل بالعمل أيضا فلا فائدة في اشتغاله بالعلوم النظرية وهم الاكثرون من الاقل الذي تتبعناه فان كان زكيا قابلا للعلوم فان لم يكن في بلده أو في العصر مستقل بالعلوم النظرية مترق عن رتبة تقليد من سبقه فالاولى به العمل فان هذه لا يمكن تحصيلها الا بعلم فليس في القوة البشرية في شخص واحد الوصول اليها الا قليل بطول الزمن — ولذلك لو لم يكن علم الطب مثلا صار مقننا مرتبا متقنا بالخواطر المتعاونة في الازمنة المتطاولة لافتقر أزكى الناس الى عمر طويل في معرفة علاج علة واحدة فضلا عن الجميع * والغالب في البلاد الخلو عن مثل هذا العالم المستقل * فاذا لم يبق الا قليل من قليل وهو زكي تنبه في عنفوان عمره لهذا الامر وهو مستعد لفهم العلوم وصادف عالما مستقلا بالعلوم تحقيقا لا اسما وحسبة لا رسما كما ترى من أكثر العلماء * فهم اما مقلدون في أعيان المذاهب

أو في أعيان المذاهب وأدلة تلك المذاهب جميعا على الوجه الذي تلقونه من أرباب المذاهب * ومن قلد أعمى فلا خير في متابعة العميان واتباعهم * أو شاب نشأ في طلب العلم وهو زكي في نفسه وتنبه له بعد الارتياض بأنواع العلوم ولكن بهذا النوع من العلم الذي تنبه له * فمثل هذا الشخص مستعد للطريقين جميعا * فالاولى به أن يقدم طريق التعلم فيحصل من العلوم البرهانية ما القوة البشرية ادراكه بالجهد والتعلم فقد كفى المؤنة فيه تعب من قبله * فاذا حصل ذلك على قدر امكانه حتى لم يبق علم من جنس هذه العلوم الا وقد حصله فلا بأس بعده أن يؤثر الاعتزال عن هذا الخلق والاعراض عن الدنيا والتجرد لله وأن ينتظر فعساه ينفتح له بذلك الطريق ما التبس على سالكي هذا الطريق ـ هذا ما أراه والعلم عند الله * وقد يخرج منه ان الصواب لاكثر الخلق الاشتغال بالعمل * ومن العمل العلم العملي أعني ما يعرف به كيفيته * فان العلم العملي ليس بأشرف من العمل بل هو دونه فانه مراد له دون العلم الذي يراد منه المعلوم كالعلم بالله وصفاته وملائكته

وكتبه ورسله والعلم بالنفس وصفاتها * والعلم بملكوت السموات والارض وغيره * فهذه العلوم نظرية وليست بعملية وان كان قد ينتفع بها في العمل على سبيل العرض لا على سبيل القصد ولكون الصواب في العمل لا كثر الخلق استقصاه النبي صلى الله عليه وسلم تفصيلا وتأصيلا حتى علم الخلق الاستنجاء وكيفيته ولما آل الامر الى العلوم النظرية أجمل ولم يفصل ولم يذكر من صفات الله الا انه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * ثم بعد اجمال العلم ذكر من تعظيمه وتشريفه وتقديمه على العمل مالا يكاد يحصى كقوله ﴿تفكر ساعة خير من عبادة سنة﴾ وكقوله (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر) الى غير ذلك مما ورد فيه * ثم ذلك العلم المقدم على العمل لا يخلو اما أن يكون هو العلم بكيفية العمل وهو الفقه وعلم العبادات * واما أن يكون علما سواه * وباطل أن يكون الاول هو المراد لوجهين ﴿أحدهما﴾ انه فضل العالم على العابد * والعابد هو الذي له العلم بالعبادة والا فهو عابس فاسق ﴿والثاني﴾ ان العلم بالعمل لا يكون أشرف من العمل لان العلم العملي لا يراد لنفسه وانما يراد

للعمل وما يراد لغيره يستحيل أن يكون أشرف منه *

﴿ بيان جنس العلم والعمل الموصلين الى جنة المأوى ﴾

فان قلت العلوم أصنافها كثيرة والاعمال وأنواعها مختلفة وليس الكل مطلوبا فما الصنف النافع حتى أشتغل به ﴿ فأقول ﴾ أما العلم فنقسم الى العملي والنظري * أما النظري فكثير ولكن كل علم يتصور أن يختلف بالاعصار والبلدان والامم فلا يورث كمالا يبقى في النفس أبد الدهر ونحن نبتغي من العلم تبليغ النفس كمالها لتسعد بكمالها مبتهجة بمالها من البهاء والجمال أبد الدهر * فخرج عن هذا البيان العلم باللغات وموجبات الالفاظ كالعلم باللغة والاعراب والنحو والشعر والترسل وشرح الالفاظ وتفصيلها * فان افتقر الى شيء منها فيطلب لا لنفسه بل ليكون ذريعة للعلم المقصود لكنا الآن في بيان العلم المقصود فانا ان نعرف ذات الحج لم يلزمنا ذكر الخف والمطهرة وان كان يحتاج اليهما في التوصل اليه * وانما نميز العلوم التي تبقى معلوماتها أبدالآبدين لا تزول ولا تحول * ومثل ذلك لا يختلف باختلاف الاعصار والامم — وذلك يرجع الى العلم بالله وصفاته

وملائكته وكتبه ورسله وملكوت السموات والارض وعجائب النفوس الانسانية والحيوانية من حيث انها مرتبطة بقدرة الله عز وجل لا من حيث ذواتها * فالمقصود الاقصى العلم بالله * وملائكة الله لا بد من معرفتهم لانهم واسطة بين الله وبين النبي — وكذا معرفة النبوة والنبي لان النبي واسطة بين الخلق والملائكة كما ان الملك واسطة بين الله والنبي — وهكذا يتسلسل الى آخر العلوم النظرية * وغايتها واقصاها العلم بالله عز وجل ولكن يتشعب القول فيه اشتعابا كثيراً اذ يدل بعضها على بعض — ولذلك يكثر التفصيل فيه ﴿ القسم الثاني ﴾ العلم العملي وهو ثلاثة علوم علم النفس بصفاتها واخلاقها وهو الرياضة ومجاهدة الهوى وهو أكبر مقصود هذا الكتاب وعلمها بكيفية المعيشة مع الاهل والولد والخدم والعبيد فانهم خدمك أيضاً كأطرافك وابعاضك وقواك * وكما لا بد من سياسة قوى بدنك من الشهوة والغضب وغيرهما فلا بد من سياسة هؤلاء * وعلم سياسة أهل البلد والناحية وضبطهم ولأجله يراد علم الفقه فى الاكثر الا مايتعلق بربع العبادات

من جملة العبادات الخاصة بالنفس * ومنه آداب القضاء ولا يتم الا بمعرفة ربع النكاح والبيع والخراج * وأهم هـذه الثلاثة تهذيب النفس وسياسة البدن ورعاية العدل من هذه الصفات حتى اذا اعتدلت تعدّت عدالتها الى الرعية البعيدة من الاهل والولد * ثم الى أهل البلد فكلكمْ راع وكلكم مسؤل عن رعيته * وما سواه يجري منه مجرى الزكاة من النصاب والضوء من الشمس والظل من الشجر وكيف يتوقع استقامة الظل مع اعوجاج ذي الظل * فاذا لم يقدر الانسان على سياسة نفسه وضبطها فكيف يقدر على سياسة غيره * فهذه مجامع العلوم العملية * ولنذكر جمل العلم الاخص من هذه العلوم السياسية فانه المقصود بالبيان * ومجامع القوى التي لا بد من تهذيبها ثلاث * قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب * ومهما هذبت قوة الفكر وأصلحت كما ينبغي حصلت بها الحكمة التي أخبر الله عنها حيث قال ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ وثمرتها ان يتيسر له الفرق بين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الصدق والكذب فى المقال وبين الجميل

والقبيح في الافعال * ولا يلتبس عليه شيء من ذلك مع انه الامر الملتبس على أكثر الخلق * ويعين على اصلاح هـذه القوة وتهذيبها ما أودعناه معيار العلم ﴿والقوة الثانية﴾ هي الشهوة وباصلاحها تحصل العفة حتى تنزجر النفس عن الفواحش وتنقاد للمواساة والايثار المحمود بقدر الطاقة ﴿والثالثة الحمية الغضبية﴾ وبقهرها واصلاحها يحصل الحلم وهو كظم الغيظ وكف النفس عن التشفي وتحصل الشجاعة وهي كف النفس عن الخوف والحرص المذمومين في كتاب الله تعالى * ومهما أصلحت القوى الثلاث وضبطت على الوجه الذي ينبغي والى الحد الذي ينبغي وجعلت القوتان منقادتين للثالثة التي هي الفكرية العقلية فقد حصلت العدالة * وبمثل هـذا العدل قامت السموات والارض وهي جماع مكارم الشريعة وطهارة النفس وحسن الخلق المحمود بقوله عليه السلام ﴿أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم اخلاقا والطفهم بأهله﴾ وقوله عليه السلام ﴿أحبكم الي أحاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون﴾ وثناء الشرع على الخلق الحسن خارج عن

الحصر ومعناه اصلاح هذه القوى الثلاث * وقد جمعه الله سبحانه في قوله ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ فدل بالايمان بالله ورسوله مع نفي الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها الا باصلاح قوة الفكر * ودل بالمجاهدة بالاموال على العفة والجود اللذين هما تابعان بالضرورة لاصلاح الشهوة * ودل بالمجاهدة على الشجاعة والحلم اللذين هما تابعان لاصلاح الحمية واسلاسها للدين والعقل حتى تنبعث مهما انبعث وتسكن مهما سكن * وعليه دل قوله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وقال عليه السلام في تفسيره ﴿ هو ان تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وتحسن لمن أساء اليك ﴾ فالعفو عمن ظلمك هو نهاية الحلم والشجاعة * واعطاء من حرمك هو نهاية الجود * ووصل من قطعك هو نهاية الاحسان *

﴿ بيان مثال النفس مع هذه القوى المتنازعة ﴾

مثل نفس الانسان في بدنه كمثل وال في مدينته

ومملكته * وقواه وجوارحه الخادمة للبدن بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل * والشهوة له كعبد سوء يجلب الميرة والطعام * والحمية كصاحب شرطته والعبد الجالب للميرة مكار خداع خبيث ملبس يتمثل بصورة الناصح * وتحت نصحه الداء العضال والشر الشمر (١) وديدنه منازعة الوزير في التدبير حتى لا يغفل عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة * فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته لوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض رأيه وأدّب صاحب شرطته وأسلسه لوزيره وجعله مؤتمراً له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سايسا ومأمورا مدبّرا لا آمرا مدبّرا استقام أمر بلده وانتظم لقيام العدل بسببه كذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية

(١) الشمر بوزن الفلز الشديد قال في القاموس شر شمر بوزن فلز أي شديد إنتهى مصححه

وسلطتها على الشهوة واستعانت بالعقل على الاخرى تارة بان تقلل من تيه الغضب وغلوائه بخلابة الشهوة واستدراجها وتارة تقمع الشهوة وتقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها استشاطة عليها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه* ومن عدل عن هذه الطريقة فهو كما قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) وقال واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال عليه السلام (أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك) وقال تعالى لمن قهر هواه (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وليس الامر كما ظنه فريق من لزوم قمع الغضب واماطته بالكلية وقلع الشهوة واماطتها بالكلية بل الواجب ضبطها وتأديبها فان العقل لا يقدر على التأديب دون الحمية الغضبية اذ ليس له الا الاشارة بالصواب وهو اشرف القوى* وبه صار الانسان خليفة الله فى أرضه ولكنه كطبيب مشير الى مافيه البر فان لم يستعن بالغضب والحمية التى ترهق الشهوة الى الطاعة وتنهض خادمة للعقل في الزجر والكسر لم تفد اشارته ولذلك لا يتبين فضيلة العقل

لمن لا حمية له ولكن ينبغي أن يتأدب بحيث لا ينبعث الا
باشارة العقل * وكذلك الشهوة فان اماتتها عن الجماع عسرة
وقاطعة للتناسل الذى به بقاء النوع وعن الطعام صعب وينقطع
به بقاء الشخص ولكن يكسر الشره في الطعام حتى لا يكون
المقصود من الطعام التلذذ بالتناول بل استيفاء القوة للتوصل
به الى العلم والعمل فيكون هو في أكله كهو في اعلافه دابته
اذا انتهض للجهاد فمقصوده التوصل فقط ويود لو استغنى عن
الطعام وبقيت قوته على العلم والعمل ﴿مثال آخر﴾ الانسان
حيث خلق بنفسه عالماً كبيراً في المعنى صغيراً في الحجم * فبدنه
كمدينة وعقله كملك مدبر لها * وقواه المدركة من الحواس الظاهرة
والباطنة كجنوده * واعوانه واعضاؤه كرعيته * والنفس الامارة
بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته
ويسعى في اهلاك رعيته * فصار بدنه كرباط وثغر * ونفسه
كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وأسره وقهره على مايجب
حمد اثره اذا عاد الى حضرته تعالى كما قال (فضل الله المجاهدين
بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى)

وان ضيع ثغره واهل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى * وقال الله يوم القيامة كما ورد فى الخبر ﴿ يا راعى السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تردّ الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك ﴾ وهذا الجهاد ذكره باللسان مفرح وغذاء للروح * وتحقيقه بالعمل بالحقيقة هو نزع الروح * ولن يعرف ذلك الا من طالب نفسه بترك شهواته * ولذلك قالت الصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فسموا مجاهدة الكفار بالسيف الجهاد الاصغر * وكذلك سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ الجهاد افضل يارسول الله فقال عليه السلام ﴿ جهادك هواك ﴾ ولذلك قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من ملك نفسه عند الغضب ﴿ مثال آخر ﴾ مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضا وكلبه مؤدباً معلماً منقاداً صار حريا بالنجح * ومتى كان هو فى نفسه أخرق وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعاً فهو خليق بان يعطب فضلاً عن أن ينال ما طلب *

﴿ بيان مراتب النفس في مجاهدة الهوى والفرق بين اشارة الهوى والعقل ﴾

اعلم ان للانسان في مجاهدة الهوى ثلاثة احوال ﴿ الاولى ﴾ أن يغلبه الهوى فيملكه ولا يستطيع له خلافاً وهو حال اكثر الخلق وهو الذي قال الله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ اذ لا معنى للاله الا المعبود * والمعبود هو المتبوع اشارته * فمن كان تردده في جميع اطواره خلف اغراضه البدنية واوطاره فقد اتخذ الهه هواه ﴿ الثانية ﴾ أن يكون الحرب بينهم سجالا تارة لها اليد وتارة عليها اليد — فهذا الرجل من المجاهدين * فان اخترمته المنية في هذه الحالة فهو من الشهداء لانه مشغول بامتثال قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعداءكم ﴾ وهذه الرتبة العليا للخلق سوى الانبياء والاولياء ﴿ الثالثة ﴾ أن يغلب هواه فيصير مستولياً عليه لا يقهره بحال من الاحوال وهذا هو الملك الكبير والنعيم الحاضر والحرية التامة والخلاص عن الرق ولذلك قال عليه السلام ﴿ ما من أحد الا وله شيطان ولي شيطان وان الله قد اعانني على شيطاني حتى ملكته ﴾ وقال في

حتى عمر ماسلك عمر فجاً الا وسلك الشيطان فجا غيره * وهذا الآن مزلة قدم * فكم من انسان يظن انه نال هـذه الرتبـة وهو فى الحقيقة شيطان مريد فانه يتبع اغراضه ولكن يتعلل لأغراضه انها من الدين وان طلبه لها لاجل الدين حتى رأيت جماعة اشتغلوا بالوعظ والتـدريس والقضاء والخطابة وانواع الرياسة وهم فيه متبعون للهوى * ويزعمون أن باعثهم الدين ومحركهم طلب الثواب ومنافستهم عليها من جهة الشرع وهى نهاية الحمق والغرور * وانما يعرف حقيقـة ذلك بأمر وهو ان الواعظ المقبول ان كان يعظ لله لا لطلب القبول وقصده دعوة الخلق الى الله * فعلامته انه لو جلس على مكانه واعظ أحسن منه سيرة واغزر منه علما واطيب منه لهجة وتضاعف قبول الناس له بالنسبة الى قبوله فرح به وشكر الله على اسقاط هذا الفرض عنه بغيره وبمن هو اقوم به منه كمن تعين عليه جهاد كافر وقتله لارتداده * فنزلت بالكافر صاعقة احرقته وكفى مؤنته والجهاد معه فرح به وشكر الله تعالى * وهـذه الحالة لا يصادفهـا من نفسه الا الاوليـاء وتكون احدى آثارها

الاحتراز باقصى الامكان كل ساعة وتصريحه بقوله اقتلونى فلست بخيركم كما نقل عن الصديق رضى الله عنه * فان قلت فاذا كنا لا نأمن مثل هذا التلبيس والخداع بتزوير الشيطان والتدلي بحبل الغرور كما حكي عن هؤلاء فبم نميز بين اشارة العقل واشارة الهوى ﴿ فاعلم ﴾ ان هذا مطلب عويص ولا خلاص عنه الا بالعلوم الحقيقية ولا مغني فيه مثل ما أودعناه معيار العلم اذ به ينكشف التلبيس عن الحق ولكن القدر الذي ينبغي أن يفزع اليه عند التحير أن يعلم أن العقل فى أكثر الامر يشير بالاصلح للعواقب وان كان فيه كلفة ومشقة فى الحال * والهوى يشير بالاستراحة وترك التكلف * فمهما عرض لك أمر ولم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه * فاكثر الخلق فى الكراهة قال عليه السلام ﴿ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴾ وقال تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ﴾ فكلما يشير عليك بالدعة والرفاهية وحظر الكلف وايثار الراحة في الحال فاتهم فيه

نفسك فان حبك الشيء يعمى ويصم * وبالجملة فما يشير اليه
العقل بقوته إفزع الى العبادة والاستخارة فيه حتى ينشرح الصدر
ويعضده الاستشارة اذا استشير فيه أهله * واكثر ما يلبس
به الهوى معاذير مزخرفة * والعقل يرشد بحجج حقيقية
والعاشق لشخص قبيح أو المتناول لطعام بشع شغف به لعادته
لو روجع لزخرف فيه معاذير مموهة يشهد عليه العقل بأنه متصنع
متكلف * وبالجملة ادراك هذه الحقيقة لايكون الا بنور الهي
وتأييد سماوي فليكن الفزع الى الله في مظان الحيرة * فقد قال
بعض العلماء اذا مال العقل الى مؤلم في الحال نافع في العاقبة
ومال الهوى نحو نقيضه الملذ في الحال الوخيم في العقبى وتنازعا
وتحاكما الى القوة المدبرة المفكرة سارع نور الله تعالى الى
نصرة العقل وبادر وسواس الشيطان وأولياؤه الى نصرة
الهوى وقام صف القتال بينهما * فان كانت القوة المدبرة من
حزب الشيطان واوليائه ذهلت عن نور الحق وعميت عن
نفع الآجل واغترت بلذة العاجل وجنحت اليه وقهر اولياء الله
وان كانت من حزب الله واوليائه اهتدت بنوره واستهانت

بالعاجلة وطلبت الآجلة قال الله تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ﴾ وشبه الله العقل بشجرة طيبة والهوى بشجرة خبيثة فقال ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ الآية فعند قيام الصف والتحام القتال بين هذين الجندين اللذين احدهما من اعداء الله والآخر من أوليائه لا سبيل الا الى الفزع الى الله تعالى والاستعاذة من الشيطان الرجيم كما قال تعالى ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾ فان قلت فهل من فرق بين الهوى والشهوة * قلنا لا حجر في العبارات ولكن نعنى بالهوى المذموم من جملة الشهوات دون المحمود * والمحمود من فعل الله تعالى وهي قوة جعلت في الانسان لتنبعث بها النفس لنيل مافيه صلاح بدنه اما بابقاء بدنه او بابقاء نوعه واصلاحهما جميعا * والمذموم من فعل النفس الامارة بالسوء وهو استحبابها لما فيه لذتها البدنية وهذه

الشهوة اذا غلبت سميت هوى فانها تستتبع الفكرة وتستخدمها لتستغرق وقتها في الامتثال لامرها * والفكرة مترددة بين الشهوة والعقل * يخدمها العقل فوقها والشهوة تحتها * فمتى مالت الفكرة نحو العقل ارتفعت وشرفت وولدت المحاسن واذا مالت الى الشهوة تسفلت الى اسفل السافلين وولدت القبائح

﴿ بيان امكان تغيير الخلق ﴾

لقد ظن بعض المائلين الى البطالة أن الخُلُقَ كالخَلْقِ فلا يقبل التغيير والتفت الى قوله عليه السلام فرغ الله من الخَلْقِ وظن أن المطمع فى تغيير الخلق طمع في تغيير خلق الله عز وجل وذهل عن قوله عليه السلام ﴿حسنوا اخلاقكم﴾ وان ذلك لو لم يكنْ ممكنا لما أمر به ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب فان الافعال نتائج الاخلاق كما ان الهويّ الى أسفل نتيجة الثقل الطبيعي فلم يتوجه الملام الى أحدهما دون الآخر بل كيف ينكر تهذيب الانسان مع استيلاء عقله وتغيير خلق البهائم ممكن اذ ينتقل الصيد من التوحش الى التأنس والكلب من الاكل الى التأدب والفرس من الجماح الى

السلاسة وكل ذلك تغيير خلق * والقول الشافي فيه ان ما خلق الله سبحانه قسمان قسم لا فعل لنا فيه كالسماء والكواكب بل أعضاء أبداننا وأجزائها وما هو حاصل بالفعل * والقسم الثاني ما خلق وجعلت فيه قوة لقبول كمال بعده اذا وجد شرط التربية * وتربيته قد تتعلق بالاختيار فان النواة ليست بتفاح ولا نخل ولكنها قابلة بالقوة لان تصير نخلا بالتربية وغير قابلة لان تصير تفاحا * وانما تصير نخلا اذا تعلق بها اختيار الآدمى في تربيتها — فلذلك لو أردنا ان نقلع بالكلية الغضب والشهوة من أنفسنا ونحن فى هذا العالم عجزنا عنه ولكن لو أردنا قهرهما واسلاسهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه * وقد أمرنا بهذا وصار ذلك شرط سعادتنا ونجاتنا * نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافهما سببان ﴿أحدهما﴾ باعتبار التقدم فى الوجود فان قوة الشهوة وقوة الغضب وقوة التفكر موجودة في الانسان * وأصعبها تغييراً وأعصاها على الانسان قوة الشهوة فانها أقدم القوى وجوداً وأشدها تشبثاً والتصاقا فانها توجد معه في أول الامر حتى

توجد فى الحيوان الذى هو جنسه * ثم توجد قوة الحمية والغضب بعده * وأما قوة الفكر فانها توجد آخراً والسبب انه يتأكد الخلق بكثرة العمل بموجبه والطاعة له وباعتقاد كونه حسناً مرضياً * والناس فيه أربع مراتب ﴿ الاولى ﴾ هو الانسان الغفل الذى لا يعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح فيبقى خاليا عن الاعتقاد وخاليا أيضا عن تشمير شهواته[1] باتباع اللذات فهذا أقبل الاقسام للعلاج فلا يحتاج الا الى تعليم مرشد والى باعث فى نفسه يحمله على الاتباع فيحسن خلقه فى أقرب وقت ﴿ والثانية ﴾ ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له شر عمله يتعاطاه انقياداً لشهواته واعراضا عن صواب رأيه فأمره اصعب من الاول اذ تضاعفت علته فعليه وظيفتان ﴿ أحداهما ﴾ قلع ما رسخ فيه من كثرة التعود للفساد ﴿ والآخر ﴾ صرف النفس الى ضده وعلى الجملة هو فى محل قبول الرياضة ان انتهض لها عن جد كامل ﴿ والثالثة ﴾ أن يعتقد الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة

---

(١) قوله تشمير شهواته أي تشديدها وتقويتها

وانها حق وجميل ثم تربى عليها — فهذا يكاد تمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه الا على الندور اذ تضاعفت عليه اسباب الضلال ﴿الرابعة﴾ أن يكون مع وقوع نشوئه على الاعتقاد الفاسد وتربيته على العمل به يرى فضله فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويتباهى به ويظن أن ذلك يرفع من قدره — وهذا اصعب المراتب وفى مثله قيل ﴿ من التعذيب تهذيب الذئب ليتأدب وغسل المسح ليبيض ﴾ ﴿فالاول﴾ من هؤلاء يقال له جاهل ﴿والثاني﴾ جاهل وضال ﴿والثالث﴾ جاهل وضال وفاسق ﴿والرابع﴾ جاهل وضال وفاسق وشرير *

﴿ بيان الطريق الجملي فى تغيير الاخلاق ومعالجة الهوي ﴾

اعلم ان المقصود من المجاهدة والرياضة بالاعمال الصالحة تكميل النفس وتزكيتها وتصفيتها لتهذيب اخلاقها * وبين النفس وبين هذه القوى نوع من العلاقة تضيق العبارة عن تعريفه على وجه يتشكل في خزانة التخيل لأن هذه العلاقة ليست محسوسة بل معقولة وليس من غرضنا بيان تلك العلاقة ولكن كل واحد من النفس والبدن متأثر بسبب صاحبه فان

النفس ان كملت وكانت زاكية حسنت افعال البـدن وكانت جميلة — وكذا البدن ان جملت آثاره حدث منها في النفس هيئات حسنة وأخلاق مرضية * فاذاً الطريق الى تزكية النفس اعتياد الافعال الصادرة من النفوس الزاكيـة الـكاملة حتى اذا صار ذلك معتاداً بالتكرر مع تقارب الزمان حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الافعال وتتقاضاها بحيث يصـير ذلك له بالعادة كالطبع فيخف عليـه ما كان يستثقله من الخير * فمن اراد مثـلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال ولا يزال يواظب عليه حتى يتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا — وكذا من أراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه في المجاهدة أن يواظب على افعال المتواضعين مواظبة دائمـة على التكرر مع تقارب الاوقات * والعجب أن الأمر بين النفس والبـدن دور اذ بافعال البدن تكلفا يحصل للنفس صفة * فاذا حصلت الصفة فاضت على البـدن فاقتضت وقوع الفعل الذي تعوده طبعا بعد ان كان يتعاطاه تكلفا * والامر فيه كالامر في سائر

الصناعات فان من أراد ان يصير له الحذق فى الكتابة صفة نفسية ثابتة * فطريقه ان يتعاطى ما يتعاطاه الكاتب الحاذق وهو حكاية الخط الحسن متكلفا متشبها * ثم لا يزال يواظب على تعاطي الخط الحسن حتى يصير له ذلك ملكة راسخة ويصير الحذق فيه صفة نفسانية فيصدر منه بالآخرة بالطبع ما كان يتكلفه ابتداء بالتصنع فكأن الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف والآخر بالطبع — وذلك بواسطة تأثر النفس — وكذلك من أراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ممارسة الفقه وحفظه وتكراره وهو فى الابتداء متكلف حتى ينعطف منه على نفسه وصف الفقه فيصير فقيه النفس بمعنى انه حصل للنفس هيئة مستعدة نحو تخريج الفقه فيتيسر له ذلك طبعا مهما حاوله * وكذلك الامر في جميع صفات النفس وكما أن طالب رتبة الفقه لا يحرم هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بزيادة ليلة — فكذلك طالب كمال النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بنقصان يوم ولكن تعطله في يوم واحد يدعو الى مثله * ثم يتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس

بالكسل وتهجر التحصيل فيفوته فضيلة الفقه * فكذا صغائر المعاصي بعضها يدعو الى بعض وكما أن تكرار ليلة لا يحس بأثره في تفقه النفس فانه يظهر شيئا فشيئا مثل نمو البدن وارتفاع القامة — فكذلك الطاعة الواحدة قد لا يحس أثرها في النفس وكمالها في الحال ولكن ينبغي أن لا يستهان بها فان الجملة مؤثرة وانما جمعت من الآحاد فلكل واحد تأثير * ثم ما من طاعة الا ولها أثر ما وان خفي — وكذلك المعصية وكم من فقيه مسوف يستهين بتعطيل يوم وليلة * وهكذا على التوالي فيفوته كمال العلم فكذا من يستهين بصغار المعاصي ينتهي به الامر الى حرمان السعادة وكم من فقيه موفق لا يستهين بتعطيل يوم وليلة فهكذا على التوالي فيحرز كمال النفس والعلم فكذا من لا يستهين بصغار المعاصي ينتهي به الامر الى درجات السعادة اذ القليل يدعو الى الكثير * ولذلك قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة

سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد * فاذا استكمل العبد النفاق اسود القلب كله *

﴿ بيان مجامع الفضائل التى بتحصيلها تنال السعادة ﴾

اذا عرف أن السعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها وان تكميلها باكتساب الفضائل كلها فلا بد من أن يعرف الفضائل جملة وتفصيلا * فاما الفضائل بجملتها فتنحصر في معنيين ﴿أحدهما﴾ جودة الذهن والتمييز ﴿والاخر﴾ حسن الخلق أما جودة الذهن فليميز بين طريق السعادة والشقاوة فيعمل به وليعتقد الحق فى الاشياء على ما هى عليه عن براهين قاطعة مفيدة لليقين لا عن تقليدات ضعيفة ولا عن تخييلات مقنعة واهية * واما حسن الخلق فبأن يزيل جميع العادات السيئة التي عرف الشرع تفاصيلها ويجعلها بحيث يبغضها فيجتنبها كما يجتنب المستقذرات وان يتعود العادات الحسنة ويشتاق اليها فيؤثرها ويتنعم بها كما قال عليه السلام ﴿ جعلت قرة عيني فى الصلاة ﴾ ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع استثقال وكراهة فذلك لنقصان ولا ينال كمال السعادة به * ثم المواظبة عليه

بالمجاهدة غاية الخير ولكن لا بالاضافة الى فعله عن طوع ورغبة وانما قيل الحق مر بالاضافة الى من لم يتهذب * فبقى فيه صوارف عن الحق — ولذلك قال تعالى ﴿وانها لكبيرة الا على الخاشعين﴾ ولذلك قال عليه السلام ان استطعت أن تعمل فى الرضى لله فاعمل والا ففى الصبر على ما تكره خير كثير * ثم لا يكفى في نيل السعادة استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى أن يكون ذلك على الدوام في جملة العمر * وكل ما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل — ولذلك لما سئل عليه السلام عن السعادة * قال طول العمر فى طاعة الله — ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة للآخرة * وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اكثر والنفس ازكى واطهر وكمالها اتم وابتهاج صاحبها بجمالها عند التجرد عن علائق البدن اشد واوفر — وذلك اذا تنبه عن نومه الذي اغفله عن ادراك حال نفسه من جمال يبتهج به أو خزى وخيال يفتضح به — وذلك التنبه باطراح الشواغل * فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا * فهذه مجامع الفضائل وغايتها أن تصدر منه الفضائل

ابداً بغير فكر وروية وتعب ويطلع على الحق بغير تعب طويل حتى كأنه يصدر منه وهو في غفلته كالصانع الحاذق في الخياطة والكتابة * وغاية الرزالة أن ترشح منه الرزائل بغير تكلف ولا فكر ولا روية ﴿واعلم﴾ ان هذه الفضائل المحصورة في فن نظري وفي فن عملي يحصل كل واحد منها على وجهين ﴿احدهما﴾ بتعلم بشريّ وتكلف اختياريّ يحتاج فيه الى زمان وتدرب وممارسة * وبتقوّى الفضيلة فيه شيئاً فشيئاً خفي التدريج كتدريج الشخص في النمو وان كان في الناس من يكفيه ادنى ممارسة وذلك بحسب الزكاء والبلادة ﴿والثاني﴾ يحصل بجود الهيّ نحو ان يولد الانسان فيصير بغير معلم عالما كعيسى بن مريم ويحيي ابن زكريا * وكذا سائر الانبياء الذين حصل لهم من الاحاطة بحقائق الامور مالم يحصل لطلاب العلم بالتعلم * وقيل ان ذلك قد يحصل ايضاً بغير الانبياء وهم الذين يعبر عنهم بالاولياء وهذا الآن رزق لا يمكنه اكتسابه بالجهد فمن حرم ذلك فليجتهد ان يكون من الفريق الثاني وليعلم نزول رتبته عن رتبة أولئك ﴿فليس التكحل في العينين كالكحلِ﴾ ولا ينبغي

أن تستبعد أن يكون بالطبع في مبدأ الفطرة من العلوم ما يحصل بالجهد والاكتساب كما يكون ذلك في الاخلاق * فرب صبي صادق اللهجة سخي جرئ * وربما يخلق بخلافه - وذلك يحصل بالتأديب والتربية * فاذا الفضيلة تارة تحصل بالطبع وطوراً بالاعتياد[1] ومرة بالتعلم * فمن تضافرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتياداً وتعلما فهو في غاية الفضيلة * ومن كان رزلا من هذه الجهات الثلاث فهو في غاية الرزالة * وبينهما رتبة من اختلفت فيه هذه الجهات *

﴿ بيان تفصيل الطريق الي تهذيب الاخلاق ﴾

ينبغي أن تعلم ان علاج النفس بمحو الرزائل عنها وبكسب الفضائل مثاله علاج الابدان بمحو العلل عنها وبكسب الصحة لها وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال — وانما تعتري العلة المغيرة للاعتدال بعوارض الاغذية وغيرها * فكذا كل مولود يولد على

(١) لا يخفي الفرق بين الاعتياد والتعلم على ازكياء الطلاب حيث ان الاول قد يكون غير مصحوب بعلم كحال الصبي الذي يعوده أبواه علي شيء بلا دراية منه بحقيقة ذلك الشيء انتهى مصححه

الفطرة . فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . والمقصود انه بالتعليم والاعتياد يكتسب الرزائل * وكما ان البدن في الابتداء لايخلق كاملا وانما يكمل بالنشو والتربية بالغذاء — فكذلك النفس تخلق ناقصة وانما تكمل بالتزكية * وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة فان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زاكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي أن تسعى لحفظ صحتها وجلب مزيد قوة وصفاء اليها * وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى في جلبه اليها وكما ان العلة المغيرة للاعتدال الموجبة للمرض لاتعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وبالعكس — فكذا الرزيلة الموجبة لنقصان النفس علاجها بضدها كما سبق من علاج الجهل بالتعلم والبخل بالتسخي تكلفا والكبر بالتواضع تكلفا والشره بالكف عن المشتهى تكلفا * وكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة أوجبتها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص * ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا

بد له من عيار يعرف به مقدار النافع منه * فان لم يحفظ عياره زاد الفساد — فكذلك النقيض الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من عيار * وكما ان عيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة وان كانت الحرارة فما درجتها أهي ضعيفة أو قوية * فاذا عرف التفت معه الى أحوال البدن وأحوال الزمان والصناعة التي المريض بصددها وعالج بحسبها ـ فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين والمسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص مالم يعرف أخلاقهم * فاذا عرف ماهو الغالب على المريد من الخلق السيء وعرف مقداره ولاحظ حاله وسنه وما يحتمله من المعالجة عين له الطريق ولذلك ترى الشيخ يشير على بعض المريدين أن يخرج الى السوق للكدية * وذلك ان توسم فيه نوع رياسة وتكبر فيعالجه بما يراه ذلا وهو نقيض خلقه حتى ينكسر به تكبره ويشير على بعضهم بتعهد بيت الماء واعداد نبل الاستنجاء * وذلك اذا رأى نفسه مائلة الى الرعونة في النظافة المجاوزة حد الاعتدال

وقد يشير عليه بالصوم ويأمره بالوصال الا بمقدار يخرج به عن موجب النهي — وذلك اذا رآه شابا قوي الشهوة مولعا بشهوة البطن والفرج الى غير ذلك من طرق التهذيب * وعن بعضهم انه كان يعالج قوة الغضب ويتكلف صفة الحلم فكان يعطي السفهاء الاجرة ليبجهوه بالشتم في المحافل فيتعود احتماله فصار بحيث يضرب به المثل في الحلم * وكان آخر يدرّج نفسه في الشجاعة فيركب البحر في الشتاء * وآخر كان يهيئ المآكل الطيبة ويطعمها غيره بحضرته وهو يقتصر على خبز الشعير لكسر الشره * وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول ليلة على رجل واحدة لا ينتقل عنها * وآخر عالج حب المال بأن باع كل ماله ورمى بثمنه في البحر * فهذا طريق جلي في تهذيب الاخلاق * والكلام في تفصيله يطول * والغرض أن تنظر أيها المتشوق الى تزكية نفسك في أخلاقك * فان كانت مهذبة فاحفظها وان كانت مائلة فقومها بالرد الى حد الاعتدال على ماسيأتي تفصيله * فان المقصود من جلب الاعتدال سلب الطرفين اذ الغرض تطهير النفس عن الصفات التي تلحقها

بعوارض البدن حتى لا تلتفت اليها بعد المفارقة عاشقة ولمتأسفة على فوتها وممنوعة بالاشتغال والتألم بها عن السعادات اللائقة بجوهرها * ومهما أردنا أن لا يكون الماء حارا ولا باردا طلبنا فيه الاعتدال وكان الفاتر لا حارا ولا باردا * فكذلك هذه الصفات * فان قلت فبماذا أعلم أن الحاصل لي هو الخلق الجميل وهو الوسط المعتدل بين طرفي الافراط والتفريط * فطريقك أن تنظر في الافعال التي يوجبها ذلك الخلق الذي فيه مجاهدتك فاذا التذذت بفعله (فاعلم) أن الخلق الموجب له راسخ في نفسك فان كان ذلك الفعل قبيحا (فاعلم) أن الخلق قبيح مثل أن تلتذ بامساك المال وجمعه * فموجبه خلق البخل فعوّد نفسك نقيضه والاخلاق الحسنة والسيئة قد فصلها الشرع ويجمعها ما صنف في آداب النبي عليه السلام وهي مشهورة وسنشير الى جملها ونعني بالاعتدال انك لو كنت تلتذ بالاسراف في تفريق المال فتعلم ان هذا أيضا مذموم وهو الذي يعبر عنه بالتبذير * والمحمود المعتدل هو السخاء الواقع بين التحزق والتبذير وهو ان يتيسر عليك بذل ما يقتضي الشرع والعقل بذله عن طوع ورغبة ويتيسر

عليك امساك مايقتضى الشرع والعقل امساكه عن طوع ورغبة وكذا في سائر الصفات والواحد منها كاف في المثال * واذا عرفت أن معيار الاعمال مأخوذ من مقدار الصفات والاخلاق لم يخف عليك ان الطريق في هذا تختلف باختلاف الاشخاص وتختلف في حق شخص واحد باختلاف الاحوال * فمن رزق البصيرة تتبع العلة وعالجها بطريقها * ولما كان اكثر الناس يعجزون عنه وعسر على الشرع تفصيل يفي بجميع الاشخاص في جميع الاعصار اقتصر الشرع في التفصيل على القوانين المشتركة التي تعم جدواها من الطاعات وترك المعاصي المحذورة ثم رغب عن المباحات التي تقصد للتلذذ بامور جميلة كقوله ﴿حب الدنيا رأس كل خطيئة﴾ وأمثاله ثم عرف أهل البصيرة منه غاية المطلوب وطريقه وغاية المحذور وطريقه ووقفوا به على التفصيل وأرشدوا اليه من وفق لاتباعهم فكانوا نوابا عن الانبياء في تفصيل ما أجملوه وشرح مامهدوه * ولذلك قال عليه السلام ﴿العلماء ورثة الانبياء﴾

﴿ بيان أمهات الفضائل ﴾

الفضائل وان كانت كثيرة فتجمعها أربعة تشمل شعبها وأنواعها وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة * فالحكمة فضيلة القوة العقلية * والشجاعة فضيلة القوة الغضبية * والعفة فضيلة القوة الشهوانية * والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب * فبها تتم جميع الامور ولذلك قيل بالعدل[1] قامت السموات والارض * فلنشرح آحاد هذه الامهات ثم لنشرح بيانها وما ينطوي من الانواع تحتها * فاما الحكمة فنعني بها ما عظم الله تعالى فى قوله ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا ﴾ وما أراده رسول الله حيث قال ﴿ الحكمة ضالة المؤمن ﴾ وهي منسوبة الى القوة العقلية وقد عرفت فيما سبق ان للنفس قوتين ﴿احداهما﴾ تلي جهة فوق وهى التى بها تتلقى حقائق العلوم الكلية الضرورية والنظرية من الملأ الأعلى وهى العلوم اليقينية الصادقة أزلا وأبدا لا تختلف باختلاف الاعصار والامم كالعلم

(١) فان الانسان الذى هو عنوان مجموع العالم الاكبر لا تكمل حقيقته فيصير حقيقة جمعية كاملة الا بالعدالة فتدبر

بالله تعالى وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وأصناف خلقه في العالم بل من جملة العلم أن النفى والاثبات لا يصدقان على شئ واحد في حال واحدة وكذلك العلوم الحقيقية * فهذه العلوم هى الحكمة الحقيقية ﴿والقوة الثانية﴾ هي التى تلي جهة تحت أعنى جهة البدن وتدبيره وسياسته وبها تدرك النفس الخيرات في الاعمال وتسمى العقل العملي وبها يسوس قوى نفسه ويسوس أهل بلده وأهل منزله * واسم الحكمة لها من وجه كالمجاز لان معلوماتها كالزيبق تتقلب ولا تثبت فمن معلوماتها ان بذل المال فضيلة * وقد يصير رذيلة في بعض الاوقات وفى حق بعض الاشخاص — فلذلك كان اسم الحكمة بالاول أحق وهذا الثانى كالكمال والتتمة للاول — وهذه هى الحكمة الخلقية والاولى هي الحكمة العلمية النظرية ونعني بالحكمة الخلقية حالة وفضيلة للنفس العاقلة بها تسوس القوة الغضبية والشهوانية وتقدر حركاتها بالقدر الواجب فى الانقباض والانبساط وهى العلم بصواب الافعال وهذه الفضيلة تكتنفها رذيلتان وهما الخب والبله فهما طرفا إفراطها وتفريطها * أما الخب فهو

طرف افراطها وهو حالة يكون بها الانسان ذا مكر وحيلة باطلاق الغضبية والشهوانية يتحركان الى المطلوب حركة زائدة على الواجب* وأما البله فهو طرف تفريطها ونقصانها عن الاعتدال وهي حالة للنفس تقصر بالغضبية والشهوانية عن القدر الواجب ومنشأه بطؤ الفهم وقلة الاحاطة بصواب الافعال *وأما الشجاعة فهي فضيلة للقوة الغضبية لكونها قوية ومع قوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع فى اقدامها واحجامها وهي وسط بين رزيلتيها المطيفتين بها وهما التهور والجبن* فالتهور لطرف الزيادة عن الاعتدال وهي الحالة التي بها يقدم الانسان على الامور المحظورة التي يجب فى العقل الإحجام عنها * وأما الجبن فلطرف النقصان وهي حالة بها تنقص حركة الغضبية عن القدر الواجب فتصرف عن الاقدام حيث يجب الاقدام* ومهما حصلت هذه الاخلاق صدرت منها هذه الافعال أي يصدر من خلق الشجاعة الاقدام حيث يجب وكما يجب وهو الخلق الحسن المحمود واياه أريد بقوله ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ فلا الشدة

في كل مقام محمودة ولا الرحمة * بل المحمود ما يوافق معيار العقل والشرع * فمن حصل له ذلك فليحفظه بالمواظبة على أفعاله * ومن لم يحصل له فلينظر فان كان طبعه مائلا الى النقصان الذى هو الجبن فليتعاطى أفعال الشجعان متكلفا مواظبا عليه حتى يصير له الاعتياد طبعا وخلقا فيفيض منه أفعال الشجعان بعد ذلك طبعا وان كان مائلا الى طرف الزيادة وهو التهور فليُشعِر نفسه بعواقب الامور وليعظّم أخطارها وليتكلف الاحجام الى الاعتدال أو مايقرب منه فان الوقوف على حقيقة حد الاعتدال شديد ولو تصور ذلك لارتحلت النفس عن البدن وليس معها علاقة منه فكانت لا تتعذب أصلا بالتأسف على مايفوتها منه * وكان لا يتكدر عليها ابتهاجها بما يتجلى لها من جمال الحق وجلاله ولكن لما عسر ذلك قيل ﴿وان منكم الا واردها﴾ وقد رأى بعض المشايخ رسول الله في المنام فقال ماالذي أردت بقولك (شيبتني سورة هود) فقال قوله (فاستقم كما أمرت) يعنى الاستمرار على الصراط المستقيم وطلب الوسط بين هذه الاطراف شديد وهو أدق من

الشعر وأحد من السيف كما وصف من حال الصراط فى الدار الآخرة ومن استقام على الصراط فى الدنيا استقام على الصراط فى الآخرة مستقيما اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه * ولذلك وجب في كل ركعة من الصلاة قراءة الفاتحة المشتملة على قوله اهدنا الصراط المستقيم فانه أعقد الامور واعصاها على الطالب ولو كلف ذلك فى خلق واحد لطال العناء فيه * وقد كلفنا ذلك في جميع الاخلاق مع خروجها عن الحصر كما سيأتي ولا مخلص عن هذه المحظورات الا بتوفيق الله ورحمته ولذلك قال عليه السلام ﴿ الناس كلهم موتى الا العالمون والعالمون كلهم موتى الا العاملون * والعاملون كلهم موتى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ﴾ فنسأل الله تعالى ان يمدنا بتوفيقه لنجاوز الاخطار في هذه الدار ولا ننخدع بدواعي الاغترار

وأما العفة فهى فضيلة القوه الشهوانية وهى انقيادها على تيسر وسهولة للقوة العقلية حتى يكون انقباضها وانبساطها بحسب اشارتها * ويكتنفها رذيلتان الشره والخمود * فالشره هو افراط الشهوة الى المبالغة في اللذات التي تستقبحها القوة العقلية

وتنهى عنها * والخمود هو خمود الشهوة عن الانبعاث الى ما
يقتضى العقل نيله وتحصيله وهما مذمومان كما أن العفة التى
هى الوسط محمودة *وعلى الانسان أن يراقب شهوته والغالب
عليها الافراط لا سيما الى مقتضى الفرج والبطن والى المال
والرياسة وحب الثناء * والافراط والتفريط في كل ذلك نقصان
وانما الكمال في الاعتدال * ومعيار الاعتدال العقل والشرع
وذلك أن يعلم الغاية المطلوبة من خلق الشهوة والغضب مثلا
بان يعلم أن شهوة الطعام انما خلقت لتبعث على تناول الغذاء
الذي يسد خلل ما ينحل من اجزائه بالحرارة الغريزية حتى
يبقى البدن حياً والحواس سليمة ليتوصل بالبدن الى نيل
العلوم ودرك حقائق الامور ويتشبه بالطبقة العليا بالاضافة
اليه وهي رتبة الملائكة وبها كمالها وسعادتها * ومن عرف هذا
كان قصده من الطعام التقوى على العبادة دون التلذذ به
فيقتصر ويقتصد لامحالة ولا يشتد اليه شرهه ويعلم ان شهوة
الجماع خلقت فيه لتكون باعثة على الجماع الذي هو سبب بقاء
النوع محفوظا ليطلب النكاح للولد والتحصن لا للعب والتمتع

وان تمتع ولعب كان باعثه عليه التألف والاستمالة الباعثة على
حسن الصحبة ودوام النكاح * ويقتصر من الانكحة على القدر
الذي لا يعجزه عن القيام بحقوقه * ومن عرف ذلك سهل عليه
الاقتصار * وعند ذلك لا يقيس نفسه بصاحب الشرع عليه
السلام اذ كان لا يشغله كثرة الانكحة عن ذكر الله تعالى
ولا يلزمه طلب الدنيا لاجل الازواج * ومن ظن أن مالا يضر
صاحب الشرع لا يضره كان كمن ظن ان مالا يغير البحر
الخضم من النجاسات لا يغير كوزا مغترفا من البحر * وان ما
لا يضر الشخص القوي البنية السوي من الاطعمة اللذيذة
لا يضر الصبي الرضيع السخيف البنية * وكم من أحمق يتكايس
فيقيس نفسه بصاحب الشرع مقايسة الملائكة بالحدادين
فيهلك من حيث لا يدري نعوذ بالله من عمش البصيرة فانه
يكاد يكون اردى من العمى اذ الاعمى يعتقد عجزه فيقلد
فيهديه غيره * والاعمش ينفتح من بصيرته بقدر ما يستنكف
به من الاتباع ثم لا يكمل نوره بحيث يستكمل مستمرا في سواء
السبيل * ومن هذه حاله لا يبالى الله في أي واد هلك * ولقد

رأيت جماعة من الحمقى العوام يتكايسون في التصوف بآرائهم
ويزعمون أن هذه الشهوات لم خلقت ان كان اتباعها مذموماً
ومهلكا ولم يعلموا أن تحت خلق الشهوتين أعني شهوة الفرج
والبطن حكمتين عظيمتين ﴿ احداهما ﴾ ابقاء الشخص بالغذاء
والنوع بالحرث فانهما ضروريتان في الوجود بحكم اجراء الله
سنته بمشيئة الله الازلية التي لا يجد لها تبديلا ولا تحويلا
﴿ والثانية ﴾ ترغيب الخلق في السعادات الاخروية فانهم مالم يحسوا
بهذه اللذات والآلام لم يرغبوا في الجنة ولم يحذروا النار
ولو وعدوا بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر لما أثر ذلك بمجرده في نفوسهم هذا حد العفة * وأما
العدل فهو حالة للقوى الثلاث في انتظامها على التناسب بحسب
الترتيب الواجب في الاستعلاء والانقياد فليس هو جزءاً من
الفضائل بل هو عبارة عن جملة الفضائل فانه مهما كان بين
الملك وجنده ورعيته ترتيب محمود بكون الملك بصيراً قاهرا
وكون الجند ذوي قوة وطاعة وكون الرعية ضعفاء سلسي
الانقياد قيل إن العدل قائم في البلد ولن ينتظم العدل بان

يكون بعضهم بهذه الصفات دون كلهم ـ وكذلك العدل في مملكة البدن بين هذه الصفات* والعدل في اخلاق النفس يتبعه لامحالة العدل في المعاملة والسياسة ويكون كالمتفرع منه ومعنى العدل الترتيب المستحب * اما في الاخلاق واما في حقوق المعاملات واما في اجزاء ما به قوام البلد *والعدل في المعاملة وسط بين رذيلتي الغبن والتغابن وهو أن يأخذ ما له اخذه ويعطي ماله أن يعطي* والغبن أن يأخذ ما ليس له * والتغابن ان يعطي في المعاملة ماليس عليه حمد وأجر *والعدل في السياسة ان ترتب أجزاء المدينة الترتيب المشاكل لترتيب أجزاء النفس حتي يكون المدينة في ائتلافها وتناسب أجزائها وتعاون أركانها على الغرض المطلوب من الاجتماع كالشخص الواحد فيوضع كل شيء موضعه وينقسم سكانه الى مخدوم لايخدم والى خادم ليس بمخدوم والى طبقة يخدمون من وجه ويخدمون من وجه آخر كما ذكرناه في قوى النفس* ولا يكتنف العدل رذيلتان بل رذيلة الجور المقابلة له اذ ليس بين الترتيب وعدم الترتيب وسط *وبمثل هذا الترتيب والعدل قامت السموات والارض

حتى صار العالم كله كالشخص الواحد متعاون القوى والاجزاء واذ قدذ كرنا جملة هذه الامهات فلنذكر تفصيل مايندرج تحت كل فضيلة ورزيلة من أنواع الفضائل والرزائل مبتدئين فيه بالقوة العقلية ثم الغضبية ثم الشهوانية ليكون ذلك أشفى فى البيان *

﴿ بيان مايندرج تحت فضيلة الحكمة ورزيلتيها من الخب والبله ﴾

اما الحكمة فيندرج تحت فضيلتها حسن التدبير وجودة الذهن ونقابة الرأي وصواب الظن * اما حسن التدبير فهو جودة الروية في استنباط ما هو الاصلح والافضل في تحصيل الخيرات العظيمة والغايات الشريفة مما يتعلق بك أو تشير به على غيرك فى تدبير منزل أو مدينة أو مقاومة عدو ودفع شر *وبالجملة فى كل أمر متفاقم خطير فان كان الامر هيناً حقيراً سمى كيساً ولم يسم تدبيراً * واما جودة الذهن فهو القدرة على صواب الحكم عند اشتباه الآراء وثوران النزاع فيها وأما نقابة الرأي فهو سرعة الوقوف على الاسباب الموصلة في الامور الى العواقب المحمودة * وأما صواب الظن فهو موافقة الحق لما تقتضيه المشاهدات من غير استعانة بتأمل الأدلة

وأما رزيلة الخب فيندرج تحتها الدهاء والجربزة * فالدهاء هو جودة استنباط ماهو أبلغ في اتمام مايظن صاحبه انه خير وليس بخير في الحقيقة ولكن فيه ربح خطير * فان كان الربح خسيساً سمي جربزة * فالفرق بين الدهاء والجربزة يرجع الى الحقارة والشرف * وأمارزيلة البله فتندرج تحتها الغمارة والحمق والجنون * فاما الغمارة فهى قلة التجربة بالجملة في الأمور العملية مع سلامة التخيل * وقد يكون الانسان غمراً في شئ دون شئ بحسب التجربة * والغمر بالجملة هو الذي لم تحنكه التجارب (وأما الحمق) فهو فساد أول الرؤية فيما يؤدي الى الغاية المطلوبة حتى ينهج غير السبيل الموصل * فان كان خلقة سمي حمقاً طبيعيا ولا يقبل العلاج [1] وقد يحدث عند مرض فيزول بزوال المرض (وأما الجنون) فهو فساد التخيل في إنتقاء ماينبغي ان يؤثر حتى يتجه الى ايثار غير المؤثر * فالفاسد من الجنون غرضه * ومن الاحمق سلوكه اذ غرض الاحمق كغرض العاقل — ولذلك لايعرف في أول الامر الا بالسلوك الى تحصيل الغرض

(١) لعل المراد عسر العلاج والافالانسان له أصل الاستعداد لاي كمال

والجنون هو فساد الغرض — ولذلك يعرف فى أول الامر *

﴿ بيان ما يندرج تحت فضيلة الشجاعة ﴾

وهو الكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والنبل والشهامة والوقار * أما الكرم فهو وسط بين البذخ والبذالة وهو طيب النفس بالانفاق فى الامور الجليلة القدر العظيمة النفع * وقد يسمى حرية * وأما النجدة فهو وسط بين الجسارة والانخذال وهو ثقة النفس عند استرسالها الى الموت مهما وجب ذلك من غير خوف * وأما كبر النفس فهو وسط بين التكبر وصغر النفس وهو فضيلة يقدر بها الانسان أن يؤهل نفسه للامور الجليلة مع استحقاره لها وقلة مبالاته بها ابتهاجا منه بقدر نفسه وجلالتها * وأثره أن يقل سروره بالاكرام الكبير من العلماء ولا يسر باكرام الاوغال ولا بالامور الصغار ولا بما يجري مجرى البخت والاتفاق من السعادات * وأما الاحتمال فهو وسط بين الجسارة والهلع وهو حبس النفس عن مسايرة المؤذيات وأما الحلم فهو وسط بين الاستشاطة والانفراك وهي حالة

تكسب النفس الوقار * وأما الثبات فهو شدة النفس وبعدها من الخور * وأما الشهامة فهو الحرص على الاعمال توقعاً للجمال وأما النبل فهو سرور النفس بالافعال العظام * وأما الوقار فهو وسط بين الكبر والتواضع وهو أن يضع نفسه موضع استحقاقها لمعرفته بقدرها * وأما رذيلتا الشجاعة وهما التهور والجبن فيندرج تحتهما البذخ والبذالة والجسارة والنكول والتبجح وصغر النفس *والهلع والاستشاطة والانفراك والتكبر والتخاسس والعجب والمهانة * فما يميل منها الى جانب الزيادة فهو تحت التهور * وما يميل الى جانب النقصان فهو تحت الجبن فاما البذخ فهو الانفاق فيما لا يجب من الزينة وغيرها طلبا للصلف * وأما البذالة فهى الدناءة وترك الانفاق فيما يجب والافتخار بالاشياء الصغار * وأما الجسارة فالاستهانة بالموت حيث لا تجب الاستهانة * وأما النكول فهو الانقباض فيما لا يجب عنه الانقباض خوفا من الهلاك *وأما التبجح فهو تأهيل النفس للامور الكبار من غير استحقاق * وأما صغر النفس فهو تأهيل النفس لما دون الاستحقاق *وأما الجسارة فهو قلة

التأثر بأسباب الهلاك من غير أثر جميل تقتضيه * وأما الهلع فهو سوء احتمال الآلام والمؤذيات * وأما الاستشاطة فهو سرعة الغضب وحدته * وأما الانفراك فهو بطؤ الغضب وبلادته وأما التكبر فهو رفع النفس فوق قدرها * وأما التخاسس فحط النفس في الكرامة والتوقير الى مادون قدرها * فان كان على الوجه الواجب سمي تواضعاً محموداً * والمولد للكبر هو العجب وذلك جهل الانسان بمقدار نفسه وظنه انها على رتبة عالية من غير أن يكون كذلك * وذم الناس للتكبر والبخل أشد من ذمهم للتخاسس والتبذير فانهما في غاية القبح وهذان وان كانا مذمومين فهما شبيهان بالسخاء والتواضع * وربما يدق الفرق بينهما فيظن أنهما محمودان وهما رزيلتان بالحقيقة مائلتان عن الوسط ـ ولذلك قال عليه السلام ﴿ طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة ﴾

﴿ بيان ماينمدرج تحت فضيلة العفة ورزيلتيها ﴾

أما فضائل العفة فهى الحياء والخجل والمسامحة والصبر والسخاء وحسن التقدير والانبساط والدماثة والانتظام وحسن الهيئة

والقناعة والهدو والورع والطلاقة والمساعدة والتسخط والظرف* أما الحياء فهو وسط بين الوقاحة والخنوثة*وقيل في حده انه ألم يعرض للنفس عند الفزع من النقيصة* وقيل انه خوف الانسان من تقصير يقع فيه عند من هو أفضل منه وقيل انه رقة الوجه عند اتيان القبائح وتحفظ النفس عن مذمومة يتوجه عليها الحق فيها * وبالجملة فانه يستعمل في الانقباض عن القبح ويستعمل في الانقباض عما يظنه المستحي قبحاً ـ وهذا الاخير يليق بالصبيان والنساء وهو مذموم من العقلاء * والاول جميل من كل أحد والمراد بقوله ﴿ ان الله يستحي من ذي شيبة في الاسلام أن يعذبه ﴾ أنه يترك تعذيبه* وأما الخجل فهو فترة النفس (١) لفرط الحياء وانما يحمد في الصبيان والنساء دون الرجال * وانما يستحي الانسان ممن يكبر في نفسه * فاما أن يستحي من الناس فنفسه أخس عنده من غيره ومن لايستحي من الله فلعدم معرفته

---

(١) قوله فترة النفس أي انكسارها وضعفها قال في المختار الفترة الانكسار والضعف انتهى مصححه

لجلاله ولذلك قال عليه السلام ﴿ استحيوا من الله حق الحياء ﴾
ولذلك قال تعالى ﴿ أولم يعلم بان الله يرى ﴾ فانه مهما أحس في
نفسه ان الله يراه فيستحي لامحالة ان كان متدينا معظما كما قال
عليه السلام ﴿ لا ايمان لمن لا حياء له ﴾ لان الحياء للانسان هو
أول أمارات العقل * والايمان آخر مراتب العقل * وكيف ينال
المرتبة الاخيرة من لم يجاوز الاولى * وأما المسامحة فهو التجافي
عن بعض الاستحقاق باختيار وطيب نفس وهو وسط بين
المناقشة والاهمال * وأما الصبر فهو مقاومة النفس للهوى
واحتماؤها عن اللذات القبيحة * وأما السخاء فهو وسط بين
التبذير والتقتير وهو سهولة الانفاق وتجنب اكتساب الشئ
من غير وجهه * وأما حسن التقدير فهو الاعتدال في النفقات
احترازاً عن طرفي التقتير والتبذير * وأما الدماثة فهو حسن
هيئة النفس الشهوانية في الاشتياق الى المشتهيات وأما
الانتظام فهو حال للنفس يدعوها الى نظر ما يقدره من
النفقات حتى يناسب بعضها بعضا * وأما حسن الهيئة فمحبة
الزينة الواجبة التي لا رعونة فيها * وأما القناعة فحسن تدبير

المعاش من غير خب* وأما الهدو فسكون النفس فيما تناله من اللذات الجميلة* وأما الورع فوسط بين الرياء والهتكة وهو تزيين النفس بالاعمال الصالحة الفاضلة طلبا لكمال النفس وتقربا الى الله دون الرياء والسمعة* وأما الطلاقة فهو المزاح بالادب من غير فحش وافتراء وهو وسط بين الافراط والتفريط في الجد والهزل* وأما الظرف فهو وسط بين التقطيب الذى هو الافراط في التحاشي وبين الهزل وهو أن يعرف الانسان طبقات الجلساء ويحفظ أوقات الانس ويعطى كلاّ ماهو أهله من المباسطة في الوقت معه* ولما كان الانسان مفتقرا الى استراحة ضرورية ترويحا للقلب لم يكن بدّ من نوع من العشرة* والدعابة مستطابة غير مترقية الى الهزل لكن بمقدار ما يفارق به الانسان حد التوحش وسيرة الجفاة غير مجاوز الى دأب المساخر في المضحكات * وقد نقل من دعابة رسول الله واصحابه ماينبه على جنسه ولسنا نطول به * وأما المسامحة فهو وسط بين الشكاسة والملق وهو ترك الخلاف والانكار على المعاشرين في الامور الاعتيادية ايثارا للتلذذ بالمخالطة * وأما التسخط فهو

وسط بين الحسد والشماتة وهو الاغتمام بالخيرات الواصلة الى من لم يستحقها والشرور التى تلحق من لا يستحقها * وأما الرذائل المندرجة تحت رذيلتي العفة فهي الشره وكلال الشهوة والوقاحة والتخنث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والكزازة والمجانة والعبث والتحاشي والشكاسة والملق والحسد والشماتة فاما الوقاحة فلجاج النفس فى تعاطي القبيح من غير احتراز من الذم * وأما التخنث فحال يعتري النفس من افراط الحياء يقبض النفس عن الانبساط قولا وفعلا *وأما التبذير فافناء المال فيما لا يجب وفى الوقت الذى لا يجب فيه واكثر مما يجب *وأما التقتير فهو الامتناع من انفاق ما يجب وسببه البخل والشح واللؤم ولكل واحد من هذه الثلاثة رتبة *أما البخيل فهو الذى يفرط ويقصر في الانفاق خوفا من أن تضطره الفاقة الى المسئلة والتذلل للاعداء وكأن سبب البخل هو الجبن عند البحث *وأما الشحيح فهو الذى يجمع الى ماذكرناه أن يكره حسن حال غيره طمعا في أن يضطره الى الحاجة اليه فينال به الجاه والرفعة ومنشأ هذا ضرب من الجهل *وأما اللئيم

فهو الذي يجمع الى هذه الصفات احتمال العار في الشيء الحقير وسببه نوع من الخبث ـ وذلك مثل المتلاصص والديوث* وأما الرياء فهو التشبه بذوي الاعمال الفاضلة طلبا للسمعة والمفاخرة واما الهتكة فالاعراض عن تزيين النفس بالاعمال الفاضلة والمجاهرة باضدادها* وأما الكزازة[1] فالافراط في الجد *وأما المجانة فالافراط في الهزل* وأما العبث فالافراط في الاعجاب بلقاء الجليس والانيس* وأما التحاشي فافراط في التبرم بالجليس وأما الشكاسة فمخالفة المعاشرين في شرائط الانس و*اما الملق فالتحبب الى المعاشرين مع التغافل عما يلحقه من عار الاستخفاف واما الحسد فالاغتمام بالخير الواصل الى المستحق الذى يعرفه الحاسد * وأما الشماتة فالفرح بالشر الواصل الي غير المستحق ممن يعرفه الشامت* وأما العدالة فجامعة لجميع الفضائل والجور المقابل لها فجامع لجميع الرذائل *ومامن خلق من هذه الاخلاق الا وقد ورد في فضائله اخبار باعثة عليه وفي رذائله زواجر

---

(١) قال فى المختار الكزازة الانقباض واليبس انتهى والمراد هنا ما ذكره المصنف انتهى مصححه

عنه ولم نر تطويل الكتاب بها* فليطلب ذلك من آداب النبي عليه السلام وغيره من الكتب* وانما الغرض بيان ان الانسان بسبب هذه القوى الثلاث بصدد هذه الاخلاق كلها ولكل واحد طرفان وواسطة وهو مأمور بالتوسط والاستقامة بين طرفي الافراط والتفريط في جملة ذلك حتى اذا حصل ذلك كله كمل كمالا يقربه الى الله تقريبا بالرتبة لا بالمكان بحسب قرب الملائكة المقربين من الله عز وجل *فلله البهاء الاعظم والكمال الاتم* وكل موجود فمشتاق الى الكمال الممكن له وهو غايته المطلوبة منه فان ناله التحق بأفق العالم الذي فوقه وان حرم عنه انحط الى الحضيض الذي تحته* فالانسان بين أن ينال الكمال فيلتحق في القرب من الله بافق الملائكة وذلك سعادته أو يقبل على ما هو مشترك بينه وبين البهائم من رذائل الشهوة والغضب فينحط الى درجة البهائم ويهلك هلاكا مؤبدا وهو شقاوته* ومثاله الفرس الجواد الذي كماله في شدة عدوه فان عجز عن ذلك حط الى رتبة ما دونه فاتخذ حمولة واكولة* ومراتب الكمال للانسان بحسب هذه الاخلاق

وبحسب العلوم غير منحصرة ـ ولذلك تتفاوت درجات الخلق في الآخرة كما تتفاوت في الدنيا فى الخلق والاخلاق والثروة واليسار وسائر الاحوال*

﴿ بيان البواعث على تحري الخيرات والصوارف عنها ﴾

أما الخيرات الدنيوية فالبواعث عليها ثلاثه أنواع الترغيب والترهيب بما يجرى ويخشى في الحال والمآل* والثاني رجاء المحمدة وخوف المذمة ممن يعتد بحمده وذمه * والثالث طلب الفضيلة وكمال النفس لانه كمال وفضيلة لالغاية أخرى وراءها فالاول مقتضى الشهوة وهي رتبة العوام *والثانى من مقتضى الحياء ومبادي العقل القاصر وهو من أفعال السلاطين واكابر الدنيا ودهاتهم المعدودين من جملة العقلاء بالاضافة الى العوام والثالث مقتضى كمال العقل وهو فعل الاولياء والحكماء ومحققي العقلاء ولتفاوت هذه الرتب قيل ﴿خير ما أعطي الانسان عقل يردعه فان لم يكن فحياء يمنعه فان لم يكن فخوف يزعجه فان لم يكن فمال يستره فان لم يكن فصاعقة تحرقه فيستريح منه العباد والبلاد﴾ وهذا التفاوت يعهد لكل شخص من صباه الى كبره

اذ هو في ابتداء صباه لا يمكن زجره وحثه بالحمد والذم بل بمطعوم حاضر أو ضرب ناجز يحس به*فاذا صار مميزا مقاربا للبلوغ امكن زجره وحثه بالمحمدة والمذمة * فطريق زجره مذمة المزجور عنه وتقبيح حال متعاطيه وطريق ترغيبه فى تعلم الادب وغيره تكثرة الثناء على آتيه وكثرة الذم لمجتنبيه فيؤثر ذلك تأثيرا ظاهرا * واكثر الخلق لا يجاوزون هاتين المرتبتين الى الرتبة الثالثة فيكون اقدامهم واحجامهم صادرة عن هذه البواعث والصوارف*وأما الرتبة الثالثة فيعز وجودها والخيرات الاخروية ايضا هذا شأنها. وبهذا الطريق تتفاوت الناس فيها اذ لا فرق بين الاخروية والدنيوية الا بتأخر وتقدم والافالخير مطلوب كل عاقل عاجلا وآجلا* والبواعث على الطلب لا تعدو هذه الاقسام فكأن من اطاع الله وترك معصيته فرتبته ثلاث﴿ الاولى ﴾من يرغب فى ثوابه الموصوف له فى الجنة أو يخاف من عقابه الموعود له في النار * وهذه الرتبة للعامة وهم الاكثرون﴿والثانية﴾رجاء حمدالله ومخافة ذمه أعني حمدا وذما في الحال من جهة الشرع ـ وهذه منزلة

الصالحين وهي أقل من الاولى بكثير﴿ والثالثة ﴾وهى العزيز الفزرتبة من لا يبتغى الا التقرب الى الله تعالى وطلب مرضاته وابتغاء وجهه والالتحاق بزمرة المقربين اليه زلفى من ملائكته وهو درجة الصديقين والنبيين ولذلك قال تعالى *﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ﴾*وقيل لرابعة العدوية ألا تسألين الله الجنة فقالت الجار ثم الدار *وقال بعضهم من عبد الله لعوض فهو لئيم* ولما كان العقل الضعيف لا يقف على كنه هذا المعنى *واكثر العقول ضعيفة خلق الله الجنة والنار ووعد الخلق بهما زجرا وحثا وأطنب فى وصفهما ولم يتعرض لهذه المعاني الا بالمرامز مثل قوله تعالى﴿ يريدون وجهه ﴾﴿واعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر﴾وأما الصوارف فقصور أو تقصير *أما القصور فالمرض المانع والشغل الضروري في طلب قوت النفس والعيال وما يجرى مجراه ـ وهذا معذور غير مذموم الا أنه عن ذروة الكمال محروم ولا دواء له الا الفزع الى الله تعالى لاماطة هذه الصوارف بجوده * وأما التقصير

فقسمان جهل وشهوة غالبة * أما الجهل فهو أن لا يعرف الخيرات الاخروية وشرفها وحقارة متاع الدنيا بالاضافة اليها وهو على رتبتين ﴿ احداهما ﴾ أن يكون عن غفلة وعدم مصادفة مرشد منبه ـ وهذا علاجه سهل ولاجله وجب أن يكون فى كل قطر جماعة من العلماء والوعاظ ينبهون الخلق عن غفلتهم ويرغبون عن الدنيا في الآخرة لا على الوجه الذى الفه اكثر وعاظ الزمن * فهذا مما يجرّئ الخلق على المعاصي أو يحقر الدين عندهم ﴿ والثانية ﴾ أن يكون لاعتقادهم أن السعادة هي اللذات الدنيوية والرياسة الحاضرة وان أمر الآخرة لا أصل له أو لان الايمان وحده كاف وهو مبذول لكل مؤمن كيف كان عمله أو يظن الاتكال على عفو الله ينجيه وان الله كريم رحيم لا نقصان له من معصية العصاة فلابد أن يرحمهم * وهذه انواع من الحماقات فترت خلائق كثيرة عن الطاعات وجرأتهم على المعاصي * فاما من ظن أن الآخرة لا أصل لها فهو الكفر المحض والضلال الصرف * ومهما كان هذا الاعتقاد مصمما بعدت الانسانية عن صاحبه والتحق بالهلكى على كل حال * وأما

من ظن أن مجرد الايمان يكفيه فهو جهل بحقيقة الايمان وغفلة عن قوله من قال «لا إله الا الله مخلصا دخل الجنة» وان معنى الاخلاص أن يكون معتقده وفعله موافقا لقوله حتى لا يكون منافقا * وأقل درجاته الا يتخذ الهه هواه فمن اتبع هواه فهو عبده وصار إلهه هواه — وذلك يبطل قوله لا اله الا الله وينافى اخلاصه * ومن ظن أن سعادة الآخرة تنال بمجرد قوله لا اله الا الله دون تحقيقه بالمعاملة كان كمن ظن أن الطبخ يحلو بقوله طرحت السكر فيه دون أن يطرحه أو الولد يخلق بقوله وطأت الجارية دون أن يطأها * والزرع ينبت بقوله بذرت البذر دون أن يبذره — وكما أن هذه المقاصد في الدنيا لا تنال الا باسبابها — فكذلك أمر الآخرة فان أمر الآخرة والدنيا واحد * وانما خص باسم الآخرة لتأخره * والخروج لفضاء العالم آخرة بالاضافة الى السكون فى بطن الام * والبلوغ الى عالم التمييز آخرة بالاضافة الى ما قبله * والبلوغ الى رتبة العقلاء آخرة بالاضافة الى ما قبلها * وانما هذه تردد فى أطوار الخلقة * والموت طور آخر من الاطوار ونوع آخر من الترقى

وضرب آخر من الولادة والانتقال من عالم الى عالم كما قال عليه السلام ﴿ القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ﴾أى ليس فى الموت الا تبديل منزل وكما أن من جلس متكلا على رحمة الله ونعمته متعطشا جائعا لم يسلك الطريق في شرب الماء وتناول الخبز هلك * ومن اتكل عليه في طلب المال ولم يتجر لم يحصل له المال وكان شقيا ـ فكذا من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا * ولذلك نبه الله تعالى عليه فقال ﴿ وان ليس للانسان الا ماسعى ﴾ ومهما عرف ان البهاء الا كمل لله وان السعادة القصوى في القرب عنه وان القرب منه ليس بالمكان وانما هو باكتساب الكمال على حسب الأمكان وان كمال النفس بالعلم والعمل والاطلاع على حقائق الامور مع حسن الاخلاق *فمن لم يكمل كيف يقرب من الله تعالى *ومن أراد ان تقرب رتبته عند الملك بنوع من العلم لو تعطل فى بيته متكلا على كرم الملك ملازما صفة النقصان غير مجتهد طول الليل فى طلب العلم معوّلا على فضل الله في ان يبيت ليله ويصبح

افضل اهل زمانه فان فضل الله عز وجل اوسع له وقدرته متسعة لاضعافه قيل له [1] هذا فعل مشحون بالباطل والحماقه مزين الظاهر بكلام يظن انه محمود فكذا من ظن ان الآخرة تنال بالبطالة والعطالة فهذه حاله *

﴿ بيان أنواع الخيرات والسعادات ﴾

نعم الله سبحانه وان كانت لا تحصى مفصلة فجملتها منحصرة في خمسة أنواع ﴿ الاول ﴾ السعادة الاخروية التي هي بقاء لافناء له وسرور لاغم فيه وعلم لاجهل معه وغني لافقر معه يخالطه ولن يتوصل اليه الا بالله ولا يكمل الا ﴿ بالنوع الثاني ﴾ وهو الفضائل النفسية التي حصرنا جملتها من قبل في أربعة أمور العقل وكماله العلم * والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الانصاف وهي على التحقيق أصول الدين * وانما تتكامل هذه الفضائل بالنوع الثالث وهي الفضائل البدنية المنحصرة في أربعة امور في الصحة والقوة والجمال وطول العمر ويتممها النوع الرابع وهي الفضائل المطيفة بالانسان

---

(١) قوله قيل له الخ خبر قوله ومن أراد ان تقرب

المنحصرة فى أربعة أمور وهي المال والأهل والعز وكرم العشيرة* ولا يتم الانتفاع بشيء من ذلك الا بالنوع الخامس وهى الفضائل التوفيقية وهى أربعة هداية الله ورشده وتسديده وتأييده* فهذه السعادات بعد السعادة الأخروية ستة عشر ضربا* ولا مدخل للاجتهاد فى اكتساب شيء منها الا الفضائل النفسية على الوجه الذي سبق* فقد عرفت ان هذه الخيرات خمسة وهى الاخروية والنفسية والبدنية والخارجة والتوفيقية* والبعض منها يحتاج الى البعض اما حاجة ضرورية كالفضائل النفسية التى لا مطمع في الوصول الى نعيم الآخرة الا بها وصحة البدن الذي لا وصول الى تحصيل الفضائل النفسية الا به* وأما حاجة نافعة كحاجة هذه الفضائل الخارجة فان المال والاهل والعشيرة ان عدمت تطرق الخلل الى أسباب هذه الفضائل *فان قلت فما وجه الحاجة الى الفضائل الخارجة من المال والاهل والعز وكرم العشيرة*

(فاعلم) ان هذه الامور جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود* اما المال فالفقير فى طلب الكمال كساع الى الهيجاء

بغير سلاح وكباز متصيد بلا جناح ـ ولذلك قال عليه السلام ﴿نعم المال الصالح للرجل الصالح﴾ وقال نعم العون على تقوى الله المال كيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات فى طلب القوت واللباس والمسكن وضرورات المعيشة فلا يتفرغ لاقتناء العلم الذى هو أشرف الفضائل * ثم يحرم عن فضيلة الحج والصدقة والزكاة وافاضة الخيرات *وأما الاهل والولد الصالح فالحاجة اليهما ظاهرة *اما المرأة الصالحة فحرث الرجل وحصين دينه قال عليه السلام ﴿نعم العون على الدين المرأة الصالحة﴾ وقال في الولد ﴿اذا مات الرجل انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جاريه أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له﴾ ومهما كثر أهل الرجل وأقاربه وساعدوه كانوا له بمنزلة الآذان والاعين والايدى فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية ما يطول فيه شغله لو انفرد* وكلما تخففت الاشغال الضرورية في الدنيا تفرغ القلب للعبادة والعلم فهو معين على الدين *وأما العز فبه يدفع الانسان عن نفسه الضيم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لاينفك عن عدو يؤذيه وظالم يقصده فيشوش عليه وقته ويشغل قلبه ـ ولذلك

قيل الدين والسلطان توأمان* وقيل الدين اس والسلطان حارس
وما لا أس له فمهدوم *وما لا حارس له فضايع- ولذلك قال تعالى
﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض﴾ وبالجملة
دفع الاذى لابد منه للفراغ للعبادة* ولا يتم ذلك الا بنوع
من العز- وكما ان الموصل الى الخير خير فدفع الصارف عن
الخير خير أيضا*وأما كرم العشيرة وشرف الآباء فقد يستهان
به ويقال المرء بنفسه والناس أبناء مايحسنون وقيمة كل امرء
مايحسنه * ولعمرى اذا قوبل شرف الاصل دون شرف النفس
بشرف النفس دون شرف الاصل استحقر شرف الاصل
اما اذا انضم اليه لم تنكر فضيلته ﴿ فأين السرى اذا سرى
اسراهما[1] ﴾ وقد شرط النسب في الامامة * وقيل الائمة
من قريش وكيف لا والاخلاق تتبع الامزجة وتسرى من
الاصول الى الفروع ولذلك قال عليه السلام ﴿ تخيروا لنطفكم
وقال إياكم وخضراء الدمن ﴾ وهى المرأة الحسناء في المنبت

---

(١) أي أشدهما سيراً وكأنه مثل يريد به أين سرى رجل أى
سيره ليلا من سرى آخر أشدمنه وأكثر في السير

السوء * فهذا أيضا من السعادات ولا نعني به الانتساب الى بني الدنيا ورؤسها وأمرائها ولكن الانتساب الى النفوس الزكية الطاهرة المزينة بالعلم والعبادة والعقل * فان قلت فما غناء هذه الفضائل الجسمية * فنقول اما الحاجة الى الصحة والقوة وطول العمر فلا شك فيه وانما يستحقر أمر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحرى الفضائل * ولعمري ان الجمال لقليل الغناء ولكنه من السعادات والخيرات على الجملة أما في الدنيا فلا يخفى وجهه وأما في الآخرة فمن وجهين ﴿أحدهما﴾ ان القبح مذموم والطباع منه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة أقرب فكأنه جناح مبلغ مثال المال * والمعين على قضاء حاجات الدنيا معين على الآخرة اذ الوصول الى الآخرة بهذه الاسباب الدنيوية ﴿والثاني﴾ ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن * والمنظر والمخبر كثيراً ما يتلازمان * ولذلك عول أصحاب الفراسة على هيئات البدن واستدلوا بها على الاخلاق الباطنة * والعين والوجه كالمرآة

للباطن — ولذلك يظهر فيهما أثر الغضب والشر * وقيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس وما في الارض قبيح الا ووجهه أقبح منه * واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو ألكن فاسقط اسمه وقال «الروح ان أشرقت على الظاهر ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن» وقد قال عليه السلام «اطلبوا الحاجة عند حسان الوجوه» وقال «اذا بعثتم رسولا فاطلبوا احسن الوجه وحسن الاسم» وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها أولاهم بالامامة * وقال تعالى ممتناً به (وزاده بسطة في العلم والجسم) ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها * فان قلت فما معنى الفضائل التوفيقية التي هي الهداية والرشد والتسديد والتأييد «فاعلم» أن التوفيق هو الذي لا يستغنى عنه الانسان في كل حال ومعناه موافقة ارادة الانسان وفعله قضاء الله تعالى وقدره * وهو صالح

للاستعمال فى الخير والشر ولكن صار متعارفا في الخير والسعادة * ووجه الحاجة الى التوفيق بيّن ولذلك قيل *

(اذالم يكن عون من الله للفتى * فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده)

وأما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب الفضائل الا بها فهي مبدأ الخيرات كما قال تعالى (أعطي كل شيء خلقه ثم هدى) وقال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابداً ولكن الله يزكي من يشاء) وقال عليه السلام ﴿مامن أحد يدخل الجنة الا برحمة الله﴾ أى بهدايته * قيل ولا انت يارسول الله قال ولا انا * والهداية ثلاث منازل ﴿الاولى﴾ تعريف طريق الخير والشر المشار اليه بقوله عز وجل ﴿وهديناه النجدين﴾ وقد انعم الله به على كافة عباده بعضهم بالعقل وبعضهم على ألسنة الرسل * ولذلك قال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ﴿والثانية﴾ ما يمدّ به العبد حالا بعد حال بحسب ترقّيه فى العلوم وزيادته فى صالح الاعمال واياه عنى بقوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) ﴿والثالثة﴾ هو النور الذي يشرق فى عالم الولاية

والنبوة فيهتدى به الى مالا يهتدى اليـه ببضاعة العقل الذى به يحصـل التـكليف وامكان التعلم * واياه عنى بقوله تعـالى (قل ان هدى الله هو الهدى) فاضافه الى نفسه وسماه الهدى المطلق * وهو المسمى حياة في قوله (أومن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به فى الناس) وبقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان على توجهه الى مقاصـده فتقوّيه على مافيه صـلاحه وتفتّره عما فيه فساده * ويكون ذلك من الباطن كما قال تعـالى (ولقـد آتينا ابراهيم رشده من قبـل وكـنا به عالمين) واما التسديد فهو ان يقوّم ارادته وحركاته نحو الغرض المطلوب ليهجم عليه فى أسرع وقت * فالرشد تنبيـه بالتعريف * والتسديد أعانة ونصرة بالتحريك * وأما التأييد فهو تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ أيدتك بروح القدس * ويقرب منه العصمة وهو فيض الهي يقوى به الانسان على تحري الخـير وتجنب الشر حتى يصـير كمانع

من باطنه غير محسوس * واياه عني بقوله (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) ولن تستتب هذه الامور الا بما يمد الله به عبده من الفهم الثاقب الصافي والسمع المصغى الواعى والقلب البصير المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على مقتضى المهمات لقلة القاصر لاما يشغل عن الدين لكثرته والعشيرة والعز الذي يصون عن سفه السفهاء ويرفع ظلم الاعداء * فبهذه الاسباب تكمل السعادات *

﴿ بيان غاية السعادات ومراتبها ﴾

اعلم ان السعادة الحقيقية هي الاخروية وما عداها سميت سعادة إما مجازاً أو غلطاً كالسعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة * واما صدقا ولكن الاسم على الاخروية أصدق * وذلك كل ما يوصل الى السعادة الاخروية ويعين عليه * فان الموصل الى الخير والسعادة قد يسمى خيراً وسعادة * والاسباب النافعة المفيدة تشرحها تقسيمات أربعة ﴿ الاول منها ﴾ ما هو نافع في كل حال وهى الفضائل النفسية * ومنها ما ينفع فى حال دون حال ونفعها أكثر كالمال القليل

ومنها ما ضرره أكثر في حق اكثر الخلق — وذلك بعض أنواع العلوم والصناعات * ولما كثر الالتباس فى هذا وجب على العاقل الاستظهار بمعرفة حقائق هذه الامور حتى لايؤثر الضار على النافع بل النافع على الرفيع والرفيع على النفيس الأهم فيطول عليه الطريق * فكم من ناظر يحسب الشحم فيمن شحمه ورم * وكم من طالب حبلا ليتمنطق به فيأخذ حية فيظنها حبلا فتلدغه * والعلم الحقيقي هو الذي يكشف عن هذه الامور ﴿التقسيم الثانى﴾ ان الخيرات بوجه آخر تنقسم الى مؤثرة لذاتها والى مؤثرة لغيرها والى مؤثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها * فينبغى أن يعرف مراتبها ليعطى كل رتبة حقها * فالمؤثرة لذاتها السعادة الأخروية فليس وراء تلك الغاية غاية أخرى * والمؤثرة لغيرها من المال كالدراهم والدنانير * فلولا ان الحاجات تنقضي بها لكانت كالحصباء وسائر الجواهر الخسيسة * والمؤثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها كصحة الجسم * فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل له فيريد أيضا سلامة

الرجل من حيث هي سلامة ﴿ والتقسيم الثالث ﴾ ان الخيرات تنقسم من وجه آخر الى نافع وجميل ولذيذ * والشرور ثلاثة ضار وقبيح ومؤلم * فكل واحد ضربان ﴿ أحدهما ﴾ مطلق وهو الذي يجمع الاوصاف الثلاثة في الخير كالحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة * وفي الشر كالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم ﴿ والثاني ﴾ مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض * فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع الزائدة والسلعة الخارجة * ورب نافع قبيح كالحمق فانه راحة حيث قيل استراح من لا عقل له اي لا يغتم للعواقب فيستريح في الحال * ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع في نجاة النفس * والنافع قسمان قسم ضروري كالفضائل النفسية والاتصال الى سعادة الآخرة وقسم قد يقوم غيره مقامه فلا يكون ضروريا كالسكنجبين في تسكين الصفرا ﴿ التقسيم الرابع ﴾ ان اللذات بحسب القوى الثلاث والمشتهيات الثلاثة ثلاث اذ اللذة هي عبارة عن ادراك المشتهى * والشهوة عبارة عن انبعاث النفس لنيل ما تتشوقه

لذة عقلية[1] وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات * أما العقليات كلذة العلم والحكمة وهي أقلها وجودا وأشرفها * أما قلتها فلأن الحكمة لا يستلذها الا الحكيم * وقصور الرضيع عن ادراك لذة العسل والطيور السمان والحلاوات الطيبة لا يدل على انها ليست لذيذة * واستطابته للبن لا تدل على انه أطيب الاشياء * والناس كلهم الا النادر مقيدون في صبا الجهل بالعنة في رتبة العلم * فلذلك يستلذون الجهل *

﴿ومن يك ذا فم مرّ مريض * يجد مرّا به الماء الزلالا﴾

وأما اشرفيتها فلانها لازمة لا تزول ودائمة لا تحول وباقية لذاتها * وثمرها في الدار الآخرة الى غير نهاية * والقادر على الشريف الباقي اذا رضي بالخسيس الفاني كان مصابا في عقله محروما بشقاوته وادباره * وأقل امر فيه ان الفضائل النفسية لا سيما العلم والعقل لا يحتاج الى أعوان وحفظة بخلاف المال * فان العلم يحرسك وأنت تحرس المال * والعلم يزيد بالانفاق والمال

(١) قوله لذة عقلية بدل من قوله ثلاث

ينقص به * والعلم نافع في كل حال ومطلقا وابدا * والمال تارة يجذب الى الرذيلة وتارة الى الفضيلة * ولذلك ذمّ في القرآن في مواضع وان سمي خيرا في مواضع ﴿ الثانية ﴾ هي اللذة المشتركة بين الانسان وبين سائر الحيوانات كلذة المأكل والمشرب والمنكح وهي أكثرها وجودا ﴿ الثالثة ﴾ التي يشارك فيها الانسان بعض الحيوانات وهي لذة الرياسة والغلبة * وهي أشد التصاقا بالعقلاء * ولذلك قيل آخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة * وكيف تكون لذة الجماع والأكل لذة مطلقة وهي من وجه ازالة الم * ولذلك قال الحسن ﴿ الانسان صريع جوع وقتيل شبع ﴾ وجميع لذات الدنيا سبع مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومسكن ومشموم ومسموع ومبصر * وهي بجملتها خسيسة كما روى عن علي كرم الله وجهه اذ قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس كالحزين * ياعمار ان كان تنفسك على الآخرة فقد ربحت تجارتك وان كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك فاني وجدت لذاتها المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات

والمسكونات والمشمومات والمسموعات والمبصرات * فاما المأكولات فأفضلها العسل وهو صنعة ذباب * والمشروبات أفضلها الماء وهو أهون موجود وأعز مفقود * وأما المنكوحات فمبال في مبال * وحسبك ان المرأة تزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها * وأما الملبوسات فأفضلها الديباج وهو نسج دودة * والمشمومات فأفضلها المسك وهو دم فارة والمسموعات فريح هابة في الهواء والمبصرات فخيالات صائرة الى الفناء — هذا كلامه * ومن آفاتها ان كل واحدة منها يتبرم بها بعد استيفائها في لحظة * فليعتبر حالة الفراغ عن الجماع والأكل بما قبله * ولينظر كيف ينقلب المطلوب مهروبا عنه في الحال * فأين يوازي هذا ما تدوم لذته ولا تفنى ابد الآباد راحته * وهو الابتهاج بكمال النفس بالفضائل النفسية خصوصا الاستيلاء على الكل بالعلم والعقل *

﴿ بيان ما يحمد ويذم من أفعال شهوة البطن والفرج والغضب ﴾

أما شهوة البطن فداعية الى الغذاء * والمطعم ضربان ضروري وغير ضروري * أما الضروري فهو الذي لا يستغنى عنه

فى قوام البدن كالطعام الذي يغتذى به والماء الذي يرتوى به * وهو ينقسم الى محمود ومكروه ومذموم ومحظور * أما المحمود فان يقتصر على تناول ما لا يمكنه الاشتغال والتقوّي على العلم والعمل الا به * ولو اقتصر عنه لتحللت قواه واختل بدنه * فهذا المقدار اذا تناوله من حيث يُحَب كما يحب فهو معذور بل مشكور ومأجور * اذ البدن مركب النفس لتقطع به منازلها الى الله تعالى * وكما ان الجهاد عبادة فامداد فرس المجاهدة بما يقويه على السير بالمجاهد أيضا عبادة * ولذلك قال عليه السلام ﴿ عند اكل الصالحين تنزل الرحمة ﴾ وذلك اذا تناوله تناول من اضطر الى شيء يود لو استغنى عنه * وادخال الطعام البطن واخراجه قريب * ولذلك قيل من كان همته مايدخل في بطنه كانت قيمته مايخرج منها * وليعلم الآكل أنه في تناول فضلات الاشجار والنبات كالخنزير فى تناول عذرة الانسان وفضلته * وكالجعل فى تناول فضلة الحيوان ولو كان للاشجار السنة لناطقت متناول فضلاتها بالتشبيه بهذا المتناول لفضلة الحيوان * وأما المكروه فهو الاسراف والامعان

من الحلال والزيادة على قدر البلغة *قال عليه السلام ﴿ مامن وعاء أبغض الى الله تعالى من بطن ملئ من حلال ﴾ وهو أيضا مضر من جهة الطب فانه أصل كل داء *قال عليه السلام ﴿ البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسد ما اعتاد ﴾ فقال محققوا الاطباء لم يدع عليه السلام شيئاً من الطب الا وأدرجه تحت هذه الكلمات الثلاث * ولا ينبغي أن يستهين طالب السعادة بهذه الزيادة وان سميناها مكروها لامحظورا فانه مكروه سريع السياقة الى المحظورات بل الى أكثر المحظورات * فان مَثار الشرور قوة الشهوات ومقوي الشهوات هى الاغذية * فامتلاء البطن مقوي للشهوة وتقوية الشهوة داعية للهوى * والهوى أعظم جند الشيطان الذي اذا تسلط سباه عن ربه وصرفه عن بابه * وامداد جنود الاعداء بالمقويات يكاد ينزل منزلة عين المداوة * فلهذا يكاد تكون الكراهية فيه حظراً *ولذلك قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدّ * فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فأخاف أن يجمح بي فيورّطني * ولان احمله على الشدائد

أحب الىّ من أن يحملنى على الفواحش * فان قلت فما المقدار المحمود (فاعلم) أنه نبه عليه السلام على التقدير بخبرين (احدهما) قوله (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) فاما اللقيمات فهي دون العشرة ويقرب منه قوله عليه السلام (المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء) والاحب الاكل فى سبع البطن * فان غلب النهم ففى الثلث * وأظن أن الحد ثلث فى حق الاكثر وان كان ذلك قد يختلف باختلاف الاشخاص * وعلى الجملة فلا بد أن يكون دون الشبع حتي يخف البدن للعبادة والتهجد بالليل وتضعف القوى عن الانبعاث الى الشهوات * وأما المحظور فهو التناول مما حرم الله عز وجل من مال الغير أو المحرمات * وأفحشها شرب المسكر فانه أعظم آلات الشيطان فى ازالة العقل الذى هو من حزب الله وأوليائه واثارة الشهوة والقوى السبعية التي هى احزاب الشيطان وأوليائه * فهذا حكم المطاعم على الاجمال * ولا يطمعن أحد في سلوك طريق السعادة قبل أن يراعى أمر المطعم فى

مقـداره ووجه حله فان المعدة منبع القوى * فكأنه الباب والمفتاح الى الخـير والشر جميعا * ولذا عظم في الشرع أمر الصوم لانه على الخصوص يتوجه الى قهر اعداء الله تعالى كما روي ﴿ان الصوم لى وانا الذي اجزي به﴾ الى غير ذلك مما ورد فيه * وأما شهوة الفرج فأفعالها تنقسم الى محمود ومكروه ومحظور * أما المحمود فهو المقدار الذي لا بد منه لحفظ النوع فان النكاح ضروري لبقاء نوع الانسان باتصال نسله كما أن الغذاء ضروري لبقاء شخصه الى حين أجله * والشهوة خلقت باعثة على ابقاء النسل بطريق الوطء كما خلق الجوع باعثا على ابقاء الشخص بالاكل * ولذلك قال ﴿تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الامم﴾ فمن كان قصده في النكاح أمرين ﴿أحدهما﴾ النسل لكثرة المباهاة وأن يلحقه بعده ولد صالح يدعو له ﴿والثانى﴾ أن يدفع عن نفسه فضلة المنى التى اذا اجتمعت كانت كالمرة * والدم اذا اجتمع عظمت نكايته في البدن باثارة المرض وفي الدين بالدعوة الى الفجور * فالنكاح على هذا الوجه محمود وسنة وداخل تحت قوله (من أحب فطرتي فليستسن

بسنتي) ومن نكح فقد حصن نصف دينه ولا بأس بغرض ثالث
وهو أن يكون في بيته من يدبر أمر منزله ليتفرغ هو للعلم والعبادة
فيصير النكاح على هذا الوجه من جملة العبادات فان الأعمال
بالنيات* وامارة هذا ان لا يطلب من المرأة الا الجمال للتحصن
وحسن الخلق لتدبير المنزل *والديانة للصيانة والنسب الديني
فقط فانه امارة الديانة وحسن الخلق فان العرق نزاع ولذلك
قال عليه السلام ﴿ عليك بذات الدين تربت يداك واياكم
وخضراء الدمن﴾ وقال﴿ تخيروا لنطفكم وليطلب صحة البدن
وان لا يكون عقيما لاجل الولد فانه المقصود* ولذلك كره
العذل واتيان المرأة من ورائها فانه اهمال للحراثة ونساؤكم
حرث لكم * ولا بأس بطلب الابكار لتستحكم الألفة وقد
ندب الشرع اليها * وأما المكروه فان يقصد التمتع وقضاء
الشهوة فقط *ثم يمعن فيه ويواظب عليه وربما يتناول ما يزيد
في شهوته وذلك مضر شرعاً ولا كراهية فيه في نفسه فانه
مباح ولكنه انصراف عن الله الى اتباع الهوى وتشبه
بالثيران والحمر* واثارة الشهوة بالمطعومات القوية والأسباب

الباعثة تضاهي اثارة سباع ضارية وبهائم عادية ثم الانهاض بعدها للخلاص منها *وأما المحظورفعلى وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان يقضى الشهوة في محل الحرث ولكن بغير عقد شرعى ولا على الوجه المأمور وهو الزنا * وقد قرن ذلك بالشرك حيث قال الزاني لاينكح الا زانية او مشركة ﴿والثاني﴾ تعاطيه فى غير محل الحرث وهو أفحش من الزنا لان الزاني لم يضيع الماء بل وضعه في محل الحرث على غير الوجه المأمور * وهذا قد ضيع وكان ممن ﴿ قال الله تعالى ويهلك الحرث والنسل ﴾ ولذلك سميت اللواطة الاسراف فقال تعالى ﴿ انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴾ فهذا مراتب الناس فى شهوة الفرج * وقد ينتهي بعض الضلال الى العشق وهو عين الحماقة وغاية الجهل بما وضع الجماع له ومجاوزة لحد البهائم فى تملك النفس وضبطها لها لان المتعشق لم يقنع بارادة شهوة الجماع وهي أقبح الشهوات وأجدرها بان يستحى منها حتى اعتقد ان لا تنقضي الا في محل واحد * والبهيمة تقضى الشهوة انى اتفق فتكتفى به * وهذا

لا يكتفى الا من معشوقته حتى ازداد به ذلا الى ذل وعبودية
الى عبودية * واستسخر العقل لخدمة الشهوة * وقد خلق ليكون
آمراً مطاعا لا ليكون خادماً للشهوة محتالا لاجلها وهو مرض
نفس فارغة لاهمة لها * وانما يجب الاحتراز من أوائلها وهو
معاودة النظر والفكر والا فبعد الاستحكام يعسر دفعها
وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب
بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور تستولى على طائفة
ينقضي عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها * ومثال ردّ
الشهوة في أول انبعاثها صرف عنان الدابة عن توجهها الى باب
دار تدخله فما أهون منعها وصرف عنانها * ومثال علاجها
بعد استحكامها أن تترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب * ثم
تأخذ بذنبها جارا لها الى وراء وما أعظم التفاوت بين
الامرين فليكن الاحتياط في بدايات الامور * فأما اواخرها
فلا تقبل الاصلاح فى الاكثر الا بجهد شديد يوازى نزع
الروح * وأما أفعال الغضب فتنقسم الى محمود ومكروه ومحظور
اما المحمود ففى موضعين ﴿ احدهما ﴾ المسمى غيرة وهو أن

يقصد حريم الرجل ويتعرض لمحارمه * فالغضب له ولدفعه محمود وقلة التأثر به خنوثة وركاكة — ولذلك قال عليه السلام ﴿ ان سعداً لغيور وان الله أغير منه ﴾ وقد وضع الله الغيرة في الرجال لحفظ الانساب فان النفوس لو تسامحت بالتزاحم على النساء لاختلطت الانساب * ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ﴿والثانى﴾ الغضب عند مشاهدة المنكرات والفواحش غيرة على الدين وطلبا للانتقام ولذلك مدحوا بكونهم اشداء على الكفار رحماء بينهم — ولذلك قال عليه السلام ﴿خير أمتى احداؤها﴾ فالمراد به الحدة لحمية الدين ولذلك قال تعالى ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ ومع هذا فالسلطان اذا غضب عند جناية جان فينبغي أن يحبسه ولا يبادر الى عقوبته حتى يجدد النظر فيه فان الغضب غُولْ العقل فربما يحمله على مجاوزة حد الواجب فى الانتقام وأما المكروه فغضبه عند فوات حظوظه المباحة نيلها كغضبه على خادمه وعبده عند كسر آنيته أو توانيه في خدمته بحكم تغافل يمكن الاحتراز عنه * فهذا لا ينتهي الى حد المذموم

ولكن العفو والتجاوز أولى وأحب * ولذلك قيل لواحد حكيم لا تصفح عن عبدك وهو يقصر في خدمتك فيفسد باحتمالك فقال لان يفسد عبدى في صلاح نفسي خير من أن تفسد نفسى فى صلاح عبدى فان احتمال ذلك اصلاح للنفس والانتقام اصلاح للعبد * وأما المذموم فهو الاستشاطة الصادرة عن الفخر والتكبر والمباهاة والمنافسة والحقد والحسد وعن أمور واهية تتعلق بالحظوظ البدنية من غير ان يكون فى الانتقام مصلحة فى المستقبل دينا ودنيا وهو الغالب على اكثر الخلق وهو انقياد للخلق الذي يضاد الحلم والتحلم فان الحلم عبارة عن امساك النفس عن هيجان الغضب والتحلم عن امساكها عن قضاء الوطر منه اذا هاج والكمال في الحلم ولكن التحلم صبر على المكروه وفيه ايضا خير كثير فهذه مراتب افعال الغضب * والناس في الغضب يختلفون فبعضهم كالحلفاء سريع التوقد سريع الخمود وبعضهم كالقطا بطيء التوقد بطيء الخمود وبعضهم بطيء التوقد سريع الخمود وهو الاحمد مالم ينته الى فتور الحمية والغيرة * وأسباب الغضب

أما من جهة المزاج فالحرارة واليبوسة * يدل عليهما تعريف الغضب فان الغضب معناه غليان دم القلب فان كان على من فوقك في القدرة على الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى القلب وكان حزنا ولاجله يصفرّ الوجه * وان كان على من دونك تولد منه ثوران دم القلب لا انقباضه فيكون منه الغضب الحقيق وطلب الانتقام * وان كان على نظيرك في القدرة على الانتقام تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط ويختلف به لون الوجه فيحمر ويصفر ويضطرب * وبالجملة قوة الغضب محلها القلب * ومعناه حركة الدم وغليانه * وأما ماوراء المزاج فالاعتياد فان من يعاشر جماعة يباهون بالغضب والطباع السبعية انطبع ذلك فيه * وان من خالط أهل الهدو والوقار اثرت العادة ايضا فيه * وأماسببه المخرج له من القوة الى الفعل في الحال فهو العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والضيم وطلب ما فيه التنافس والتحاسد وشهوة الانتقام وكل ذلك مذموم * وحق من اعتراه الغضب أن يتفكر فيما قاله بعض الحكماء لبعض السلاطين وقد سأله حيلة في

دفع الغضب * فقال ينبغى أن تذكر أنه يجب أن تطيع لا أن
تطاع فقط وان تخدم لا أن تخدم * فقط وان تحتمل لا أن تحتمل
فقط وان تعلم أن الله يراك دائما * فاذا فعلت ذلك لم تغضب
﴿ واعلم ﴾ أن الغضب له فروع كما سبق ومن جملتها الشجاعة
والتهور والمنافسة والغبطة والحسد على ماسبق ولكن نزيدها
شرحا * أما الشجاعة فخلق بين التهور والجبن فان اعتبر
اضافتها الى النفس فهى صرامة القلب فى الاهوال وربط
الجأش عند المخاوف وان اعتبر بالفعل فالاقدام على موضع
الفرصة وتولدها من الغضب وحسن الامل وبها يصابر الانسان
الشدائد بل بها يصبر عن المعاصى فان الغضب اذا سلط على
الشهوة زجرها * ولما كان الدين شطره رغبة في الخير وشطره
تركا للشر قال عليه السلام ﴿ الصبر نصف الايمان ﴾ ولما
كان بعض الشرور في شهوة الفرج والبطن وبعضها في
غيرهما قال الصوم نصف الصبر والصبر صبران صبر جسمي
وهو تحمل المشاق بالبدن اما فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة
واما انفعالا كاحتمال الضرب الشديد والمرض العظيم * والمحمود

التام هو الضرب الثاني وهو الصبر النفسي * فان كان عن تناول المشتهيات سمي عفة * وان كان على احتمال مكروه اختلفت اسماؤه بحسب اختلاف المكروه * فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع وان كان في احتمال غنى سمى ضبط النفس ويضاده البطر * وان كان في حرب سمى شجاعة ويضاده الجبن * وان كان في كظم الغيظ والغضب سمى حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر * وان كان في اخفاء كلام سمي كتم السر * وان كان على فضول العيش سمى زهداً وقناعة ويضاده الحرص والشره * ولذلك قال تعالى ﴿والصابرون في البأساء﴾ أى المصيبة ﴿والضراء﴾ أي الفقر ﴿وحين البأس﴾ أي المحاربة ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ واما الغبطة والمنافسة والحسد التى هي من جملة الفروع أيضا فالغبطة محمودة والحسد مذموم * قال عليه السلام ﴿المؤمن يغبط والمنافق يحسد﴾ والمنافسة محمودة قال تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ والغبطة تمني الانسان

ان ينال كل ما ناله أمثاله من غير ان يغتم لنيل غيره فاذا انضم اليه الجد والتشمير في الوصول الى مثله اوخيرمنه فهومنافسة والحسد هو تمني زوال النعمة عن مستحقيها * وربما كان مع سعى في ازالتها*والخبيث الحسد من يكون ساعياً في الازالةمن غير ان يطلبها لنفسه*والحسد غايةالبخل اذا لبخيل يبخل بمال نفسه*والحسود يبخل بمال الله على غيره*وقيل الحسد والحرص هما ركنا الذنوب ولهما ضُرِب [١] المثل بآدم وابليس اذحسد ابليس آدم فصار لعينا*وحرص آدم على ما نهي عنه فاخرج من الجنة*فهما شجران يثمران الهموم والغموم والخسران*فمن قطع عروقهما نجا*وبالجملة فالحسد عين الحماقة لان من لا يغتم بخير يصل الى أهل المغرب مع أنه لا يناله بوجه فَلِمَ يغتم بخير يصل الى عشيرته وشركائه وجيرانه وأهل بلده*وربما ينال منه حظا*وقوله عليه السلام «لا حسد الا في اثنين رجل أتاه الله مالا فجعله في حق ورجل أتاه الله حكمة فهو يقضي بها » انما أراد به الغبطة فان الحسد قد يطلق لارادتها — فهذا هو القول في

---

(١) في هذا التعبير سر غامض تعرفه ارباب العقول الحرة والافكار العالية

ضبط أفعال هذه الصفات * فان قلت فمن ضبط أفعال هذه القوى حتى حدث في نفسه من افعاله اخلاق راسخة يتيسر بها هذه الافعال فهل يكون عفيفا ﴿ فاعلم ﴾ أن العفة لا تتم بهذا القدر مالم ينضم اليه عفة اليد واللسان والسمع والبصر وحدها في اللسان الكف عن السخرية والغيبة والنميمة والكذب والهمز والتنابذ بالالقاب * وفي السمع ترك الاصغاء الى قبائح اللسان من الغيبة وغيرها والى استماع الاصوات المحرمة وكذلك في جميع الجوارح والقوى * وعماد عفة الجوارح كلها الاّ يطلقها في شيء مما يختص بها الا فيما يسوغه العقل والشرع وعلى الحد الذي يسوغه * ثم لا تتم بذلك مالم يكن قصده في الاقدام والاحجام تحري الفضيلة وطلب التقرب الى الله عز وجل ونيل مرضاته * فأما ان كان قصده بعفته انتظارا لما هو اكثر أو لانه لا يوافق مزاجه أو لخمود شهوته أو لاستشعار خوف في عاقبته كسقوط حشمته أو لانه ممنوع من تناوله فكل ذلك ليس بعفة وانما كل ذلك تجارة وترك حظ لحظ يماثله * وكل ذلك غير كاف في تحصيل العفة فليعلم ذلك ولنخض

بعد ذلك فى تعريف التعلم والتعليم وتهذيب القوة العقليه *

﴿ بيان شرف العقل والعلم والتعليم ﴾

قد عرفت فيما سبق أن العلم والعمل هما وسيلتا السعادة وان العمل لا يتصور الا بعلم بكيفية العمل وان العلم الذى ليس بعملي كالعلم بالله وصفاته وملائكته مقصود فقد استفدت منه أن العلم أصل الاصول فلا بد أن نرشدك الآن الى طريق التعلم والتعليم ولننبه أولا على شرف هذه الامور وندل عليه فنقول * أما التعليم فهو أشرف الاعمال ﴿ والصناعات ثلاثة اقسام ﴾ اما أصول لاقوام للعالم دونها وهى أربعة الزراعة والحياكة والبناية والسياسة[1] واما مهيئة لكل واحدة منها وخادمة لها كالحدادة للزراعة * والحلاجة والغزل للحياكة واما متممة لكل واحدة من ذلك ومزينة لها كالطحانة والخبز للزراعة * والقصارة والخياطة للحياكة * وذلك بالاضافة الى قوام العالم الارض مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة أضرب * اما اصول كالقلب والكبد والدماغ * واما

---

(١) الزراعة للقوت والحياكة للباس والبناية للسكن والسياسة للامن

مرشحة لتلك الاصول وخادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين واما مكملة ومزينة لها كالهدب والحاجب * واشرف أصول الصناعات السياسات اذ لا قوام للعالم الا بها وهي أربعة اضرب ﴿ الاول ﴾ سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم ﴿ والثاني ﴾ الخلفاء والولاة والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً لكن على ظاهرهم لا على باطنهم ﴿ والثالث ﴾ العلماء والحكماء وحكمهم على باطن الخواص فقط ﴿ والرابع ﴾ الوعاظ والفقهاء وحكمهم على باطن العامة فقط فاشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس * وبرهان ذلك أن شرف الصناعة انما يكون باعتبار النسبة الى القوة المبرزة المظهرة لها كفضل معرفة الحكمة على معرفة اللغات فان الاولى متعلقة بالقوة العقلية التي هي أشرف القوى * والآخرى متعلقة بالقوة الحسية وهي السمع واما بحسب عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بحسب شرف الموضوع المعمول فيه كفضل الصياغة على الدباغة وليس يخفى أن العلوم العقلية تدرك بالعقل الذي

هو اشرف القوى وبه يتوصل الى جنة المأوى وهو ابلغ نفع واعمه وموضوعه الذى يعمل فيه نفوس البشر وهى أفضل موضوع بل اشرف موجود في هذا العالم * فافادة العلم من وجه صناعة ومن وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله هو أجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو اخصّ صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه * ثم هو مأذون له فى الانفاق على كل محتاج اليه فأيّ رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه وخلقه فى تقربهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى * واما شرف العلم والعقل فمدرك بضرورة العقل والشرع والحس * أما الشرع فقد قال عليه السلام (أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم عليّ منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك أعاقب) وهذا العقل الذى يدرك به الانسان الاشياء تجرى من العقل الاول الذى خلق الله عز وجل مجرى النور من الشمس فان هذه العقول عقول

بالاضافة الى الاشخاص وذلك (١) مطلق من غير اضافة * وأما دلالة العقل على شرف العقل فهو ان مالا ينال سعادة الدنيا والآخرة الا به فكيف لا يكون اشرف الاشياء وبالعقل صار الانسان خليفة الله وبه تقرب اليه وبه تم دينه (٢) ولذلك قال عليه السلام ﴿لا دين لمن لا عقل له﴾ وقال ﴿لا يعجبكم اسلام امرئ حتى تعرفوا عقله﴾ ولهذا قيل من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الخير عليه وناهيك به شرفا أن قد شبه الله سبحانه العقل بالنور فقال ﴿الله نور السموات والارض﴾ أى منورهما (٣) وأكثر مايطلق النور والظلمات في القرآن على العلم والجهل مثل قوله تعالى ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات

(١) فان العقل الاول نور صرف فياض على الكل فهو روح الكل وقد يسمي عند العرفاء بقلب العالم الاكبر انتهى

(٢) قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم أي ببعثة الرسول وشرعته تم دين الله تعالى

(٣) اذ به يتنور وينكشف أسرار ملكوت السموات والارض ومعنى كون الله منورا انه خالق لذلك النور الوضاح

الى النور ﴾ وانما كل ذلك بالعقل — ولذلك قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه ﴿ اذا تقرب الناس لخالقهم بابواب البر فتقرب أنت بعقلك تتنعم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله فى الآخرة ﴾ وسنذكر وجه التقرب بالعقل وأما الحس بمجرده فكاف في ادراك شرف العقل والعلم حتى ان أكبر الحيوانات شخصا وأقواها بدنا اذا رأى الانسان احتشمه بعض الاحتشام واستشعر الخوف منه لاحساسه بانه مستول عليه بجبلته * وأقرب الناس الى البهائم اجلاف العرب والترك * ورعاة البهائم منهم ولو وقع فيما بينهم راع أوفر منهم عقلا وأكثر منهم دراية بصناعتهم لو قروه طبعا ولذلك ترى الاتراك بالطبع يبالغون فى توقير شيوخهم لان التجربة ميزتهم عنهم بمزيد علم ولذلك قال عليه السلام مطلقا ﴿ الشيخ في قومه كالنبيّ في أمته ﴾ وانما وقار النبي فى أمته بعلمه وعقله لا بقوة شخصه وجمال بدنه وكثرة ماله وقوة شوكته ولذلك قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله عليه السلام فلما وقع طرفهم عليه هابوه وتراءي لهم نور الله في وجهه

معربا عن تميزه ملقيا للرعب فى صدور معانديه * وقد سمى الله عز وجل العلم روحا فقال ﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ﴾ وسماه حياة فقال تعالى ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه ﴾ وقال عليه السلام ﴿ ما خلق الله خلقا أكرم من العقل ﴾ ولو جلبت الاخبار الواردة فى الحث على طلب العلم لطال المقال وأيّ تشريف يزيد على قوله ﴿ ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع ﴾

﴿ بيان وجوب التعلم لاظهار شرف العقل ﴾

اعلم ان شرف العقل من حيث كونه مظنة العلم والحكمة وآلة له * ولكن نفس الانسان معدن للعلم والحكمة ومنبع لها وهي مركوزة فيها بالقوة فى أول الفطرة لا بالفعل كالنار فى الحجر والماء فى الارض والنخل فى النواة * ولا بد من سعى في ابرازه بالفعل كما لا بد من سعي فى حفر الآبار لخروج الماء * ولكن كما ان من الماء ما يجري من غير فعل بشري ومنه ماهو كامن محتاج فى استنباطه الى حفر وتعب * ومنه ما يحتاج فيه الى تعب قليل كذلك العلم فى النفوس البشرية

منه ما يخرج الى الفعل من القوة بغير تعلم بشري كحال الانبياء عليهم السلام فان علومهم تظهر من جهة الملأ الاعلى من غير واسطة بشري * ومنه ما يطول الجهد فيه كأحوال العامة من الناس لاسيما ذوو البلادة الذين كبر سنهم في الغفلة والجهل ولم يتعلموا زمن الصبا * ومنه ما يكفي فيه السعي القليل كحال الاذكياء من الصبيان ولكون العلوم مركوزة في النفوس قال الله تعالى ﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى ﴾ فالمراد باقرار نفوسهم المعنى الذي اشرنا اليه من كونها موجودة بالقوة دون اقرار الألسنة فانها لم تحصل من كلهم عند الظهور بل من بعضهم — وكذلك قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ معناه لئن أعتبرت أحوالهم شهدت نفوسهم وبواطنهم بذلك ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ فكل آدمى فطر على الايمان وما جاء الانبياء الا بالتوحيد ولذلك قال قولوا ﴿ لا اله الا الله ﴾ فانه لن يصادف الا من هو مصدق بالاله * وانما غلط في عينه أو صفته * ثم لما كان

الايمان بالله مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من أعرض فنسى وهم الكفار * والى من اجال خاطره فتذكر وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها — ولذلك قال تعالى ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ ﴿وليذكر أولو الالباب﴾ ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به ﴾ ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ والتذكر هو أكثر مايعبر به وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد * وكان التذكر ضربان ﴿ أحدهما ﴾ ان يتذكر صورة كانت مكتسبة في قلبه بالعقل ثم غابت عنه ﴿ والآخر ﴾ ان يكون تذكره لصورة مضمنة بالفطرة فى الانسان * ولذلك قال المحققون التعلم ليس يجلب للانسان شيئا من خارج بل يكشف الغطاء عما حصل فى النفوس بالفطرة كحال مظهر الماء من الأرض ومظهر الصور فى المرآة بالجلاء — وهذه حقائق ظاهرة للناظرين بعين العقل ثقيلة على من جمد به قصوره على أول رتبة صبيان المكتب فى اعتلاق طبعهم بسوابق الخيالات من ظواهر الالفاظ من غير تحقيق لها *

﴿ بيان أنواع العقل ﴾

اعلم ان العقل ينقسم الى غريزيّ والى مكتسب فالغريزي هو القوة المستعدة لقبول العلم * ووجوده فى الطفل كوجود النخل فى النواة * والمكتسب المستفاد هو الذى يحصل من العلوم إما من حيث لا يدرى كفيضان العلوم الضرورية عليه بعد التمييز من غير تعلم * وإما من حيث يعلم مدرَكَهُ وهو التعلم ولانقسام العقل الي قسمين قال علي رضى الله تعالى عنه *

﴿رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع﴾
﴿ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع﴾
﴿كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع﴾

﴿والاول﴾ هو المراد بقوله ماخلق الله خلقا اكرم عليه من العقل ﴿والثانى﴾ هو المراد بقوله عليه السلام لعلي ﴿اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرّب انت بعقلك﴾ ﴿والاول﴾ يجري مجرى البصر للجسم ﴿والثانى﴾ يجرى مجرى نور الشمس ولا منفعة فى النور عند عمى البصر ولا يجدى البصر عند عدم النور فكذلك

بصر الباطن وهو العقل وهو أشرف من البصر الظاهر اذا لنفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصره الباطن الظاهر قال تعالى ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وقال وكذلك ﴿نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض﴾ وسمّي ضده عمى قال تعالى ﴿ فأنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وقال ﴿ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ﴾ وبالجملة من لم يكن بصيرة عقله نافذة فلا تعلق به من الدين الا قشوره بل خيالاته وأمثلته دون لبابه وحقيقته فلا تدرك العلوم الشرعية الا بالعلوم العقلية فان العقلية كالادوية للصحة والشرعية كالغذاء والنقل جاء من العقل وليس لك أن تعكس *والنفس المريضة المحرومة من الدواء تتضرر [1] بالاغذية ولا تنتفع ولذلك قال تعالى ﴿في قلوبهم مرض﴾ لما كانوا لا ينتفعون بالقرآن *والمقلد الاعمى اذا تأمل امور مواد الشرع يتراءى له امور متناقضة

---

(١) قال تعالى يضل به كثيراً ويهدى به كثير وما يضل به الا الفاسقين (اى الخارجين عن الفطرة الاصلية والسلامة القلبية)

وهى كذلك بالاضافة الى مافهمه* ثم قد تَجْبُن نفسه عن التأمل فيه لضعف عقله وخور طبعه فيتكلف الغفلة عنه خيفة ان ينكسر تقليده* وقد يتأمله فيدرك تناقضه فيتحير ويبطل يقينه ولو نظر بعين البصيرة لبطل التناقض ورأى كل شيء في موضعه * ومثاله مثال الاعمى الذي دخل داراً فعثر بالكوز والطشت وأثاث الدار فقال لم وضعتم هذا على الطريق لم لا تردونها الى محلها* فقيل له ان كلا في موضعه ولكن الخلل في البصر * فهذا بيان نسبة العلم المستفاد من العقل *

﴿واعلم﴾ أن المكتسب من العلوم بواسطة العقل ينقسم الى المعارف الدنيوية والاخروية * وطريقاهما متنافيان فمن صرف عنايته الى أحدهما قصرت بصيرته في الآخر على الاكثر ـ ولذلك ضرب عليّ رضي الله عنه ثلاثة امثلة * فقال ان مثل الدنيا والآخرة ككفتي ميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت أحداهما اسخطت الاخرى ـ ولذلك نرى الاكياس في أمور الدنيا جهالا في أمور الآخرة وبالعكس* ولذلك قال عليه السلام الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت* وقال لمن

نسب بعض الصالحين الى البله ﴿اكثر أهل الجنة البله﴾ يعني فى امور الدنيا — ولذلك قال الحسن البصري ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين * ومهما سمعت أمراً غريباً من امور الدين فلا يبعدنك عن قبوله انه لو كان حقيقياً لادركه الا كياس من أرباب الدنيا ودقائق الصناعات الهندسية وغيرها اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب — فكذلك امر الدنيا والآخرة — ولذلك قال تعالى ﴿ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ الآيتين وقوله تعالى ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ ولا يكاد يجمع بينهما الا من رشحه الله لتدبير الخلق في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من قوة تتسع لجميع الامور ولا تضيق فاما النفوس الضعيفة اذا شغلت بأمر انصرفت عن غيره ولن تقدر على الاستكمال منهما جميعاً *

﴿بيان وظائف المتعلم والمعلم في العلوم المسعدة﴾

أما المتعلم فوظائفه كثيرة وتجمع تفاصيلها عشر جمل *

﴿الوظيفة الاولى﴾ ان يقدم طهارة النفس عن رديء الاخلاق فكما لا تصح عبادة الجوارح فى الصلاة الا بطهارة الجوارح والعلم عبادة النفس وفى لسان الشرع عبادة القلب [1] فلا يصح الا بطهارة القلب عن خبائث الاخلاق وانجاس الصفات قال عليه السلام ﴿ بنى الدين على النظافة﴾ وهو كذلك باطنا كما انه كذلك ظاهراً وقال تعالى ﴿انما المشركون نجس﴾ فنبه به على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظاهر — ولذلك قال عليه السلام ﴿ لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ﴾ والقلب منزل الملائكة ومحل نظرهم ومصب اثرهم *والصفات الردية كلاب مانعة *ومهما اعتقد فى بيت من طين وحيوان سمى كلباً وهو كسائر الحيوانات شكلا فبأن يعتقد فى بيت الدين وصفات لا تساوى سائر الصفات المحمودة أولى * وبيت الدين هو القلب وعليه تغلب الكلاب مرة والملائكة أخرى فان

(١) لما كان العالم نوعين اعلى واسفل — امرى وخلقى وفى لسان بعض العرفاء تدوينى وتكوينى وكان التكوين طبق التدوين لانه ظله خص الشرع غالبا اسم القلب بالحقيقة الانسية العليا والنفس بالخليقة الانسانية التكوينية فتدبر *

قلت فكم طالب رديء الاخلاق حصّل العلوم فما ابعدك عن فهم العلم الحقيقي الديني الجالب للسعادة فما يحصله صاحب الاخلاق الردية حديث ينظمه بلسانه مرة وبقلبه أخرى وكلام يردده * ولوظهر نور العلم على قلبه لحسنت اخلاقه فان اقل درجات العلم ان يعرف ان المعاصي سموم مهلكة مبطلة للحياة الابدية فان منشأها الصفات الردية * وهل رأيت من عرف السم فتناوله * ولهذا قال عليه السلام ﴿ من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعداً ﴾ ولهذا قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله أي العلم امتنع وابى ان يحصل وما حصل كان حديثا ولم يكن علما تحقيقيا * فان قلت اني أرى جماعة من فضلاء الفقهاء قد تبحروا فيها مع سوء اخلاقهم * فيقال لك اذا عرفت مراتب العلوم ونسبتها الى سلوك سبيل السعادة عرفت أن ما يعرفه أولئك الفقهاء قليل الغناء في المقصود وان كان لا ينفك عن تعلق به في حق من يقصد به التقرب ﴿ الوظيفة الثانية ﴾ ان يقلل علائقه من الاشغال الدنيوية ويبعد عن الاهل والولد

والوطن فان العلائق صارفة وشاغلة للقلوب ﴿وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ وكلما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق * ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانك من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة مهما توزعت على امور كانت كجدول ماؤه منكشف منبسط فينشفه الهوى والارض ولا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزرعة وينتفع به ﴿ الوظيفة الثالثة ﴾ أن لا يتكبر على العلم واهله ولا يتأمر على المعلم بل يلقي اليه بزمام امره في تفصيل طريق التعلم ويذعن لنصحه اذعان المريض للطبيب * أما التكبر على العلم فان يستنكف من استفادته ممن يعرفه وهو عين الحمق بل الحكمة ضالة كل حكيم فحيث يجدها ينبغي ان يغتنمها ويستفيدها ويتقلد بها المنة *

﴿فالعلم حرب للفتى المتعالى * كالسيل حرب للمكان العالي﴾

فلا بد من التواضع ولذلك قال تعالى ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد﴾ أي يكون مشتغلا بالعلم وهو المراد بمن له قلب أو كان

فيه من العقل ما يحمله على القاء السمع وحسن الاصغاء والضراعة * ومهما لم يكن المتعلم لمعلمه كارض جدبة نالت مطراً غزيراً فيلقاه بالقبول من غير دفع لم ينتفع به* ومهما اشار المعلم فى طريق التعلم بما يراه المتعلم عين الخطأ ويعتقده قطعا فليتهم نفسه وليصبر وليتبع معلمه فان خطأ معلمه خير من صواب نفسه كسالك الطريق يكون قد استفاد بالتجربة ما يتعجب المبتدى منه* وعلى هذا نبه الله تعالى فى قصة الخضر وموسى فانه قال﴿ هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ﴾ الى قوله ﴿ فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ ثم لم يصبر وراجعه وراده الى أن قال﴿ هذا فراق بيني وبينك﴾ * ثم نبه على اسرار ما استبعده كما ورد به القرآن فعرف الله موسى ان المعلم يعلم مالا ينتهي اليه عقل المتعلم ووهمه *وبالجملة فكل متعلم ثم يتبع مراسم معلمه في طريق التعلم فاحكم عليه بالاخفاق وقلة النجح * فان قلت فقد قال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ فاعلم أن هذا ليس مناقضا لمنع موسى من السؤال ولا لما ذكرناه لان النهي هو منع عن طلب مالم يبلغ الى حد يدركه

فاذا منعه المعلم من السؤال عنه فليمتنع والامر هو حث على معرفة تفصيل ما تقتضيه رتبتـه من العلم ﴿ الوظيفة الرابعة ﴾ أن الخائض في العـلوم النظرية لا ينبغي أن يصغي أولا الى الاختلاف الواقع بين الفرق والشبه المشككة المحيرة ما لم يكن بعد تمهيد قوانينه فان ذلك يفتر عزمه في أصل العلم ويؤيسه عن حقيقة الدرك لاسباب ذكرناها في كتاب معيار العلم فليتقن الاصول والرأي الذي اختاره استاذه وطريقه * ثم ليخض بعد ذلك في تعريف الشبه وتعقبها — ولهذا نهى الله تعالى من لم يقو في الاسلام عن مخالطة الكفار حتى قيل كان أحد اسباب تحريم الخنزير ذلك اذ كان اكثر اطعمة الـكفار فحرم ذلك ليكون مزجرة للمسلمين عن مواكلتهم التي كانت سببا للمخالطة — ولهذا يجب صيانة العوام عن مجالس اهل الاهواء كما يصان الحرم عن مخالطة المفسدين * فاما من قويت في الدين شكيمته واستقر في نفسه برهانه وحجته فلا بأس عليـه بالمخالطة بل الاحب المخالطة والاصغاء الى الشبـه والاشتغال بحلها ويكون به مجاهداً فان القادر يستحب له

التهجم على صف الكفار والعاجز يكره له ذلك* ومن هذا الاصل غلط من ظن أن وظائف الضعفاء كوظائف الاقوياء في الدين حتى قال بعض مشايخ الصوفية من رآني في الابتداء قال صديقا *ومن رآني في الانتهاء قال زنديقا *يعني أن الابتداء يقتضي المجاهدة الظاهرة للاعين بكثرة العبادات وفي الانتهاء يرجع العمل الى الباطن فيبقى القلب على الدوام في عين الشهود والحضور وتسكن ظواهر الاعضاء فيظن أن ذلك تهاون بالعبادات وهيهات فذلك استغراق لمخ العبادات ولبابها وغايتها ولكن أعين الخفافيش تكل عن درك نور الشمس ﴿الوظيفة الخامسه﴾ للمتعلم أن لا يدع فنا من فنون العلم ونوعا من انواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على غايته ومقصده وطريقه * ثم إن ساعده العمر واتته الاسباب طلب التبحر فيه فان العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض ويستفيد منه في الحال حتى لا يكون معاديا لذلك العلم بسبب جهله به فان الناس اعداء ما جهلوا قال تعالى ﴿واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم﴾ قال الشاعر

﴿ومن يك ذا فم مرّ مريض * يجد مرّاً به الماء الزلالا﴾

فلا ينبغي أن يستهين بشيء من أنواع العلوم بل ينبغي أن يحصل كل علم ويعطيه حقه ومرتبته فان العلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله أو معينة على اسباب السلوك * ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصد * والقوّام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور على طريق الجهاد والحج ولكل واحد منها رتبة ﴿الوظيفة السادسة﴾ أن لا يخوض في فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب فيبدأ بالاهم فالاهم ولا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى البعض * والموفق مراعي ذلك الترتيب والتدريج قال تعالى ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده من كل علم يتحراه الترقي الى ما فوقه * وينبغي أن لا تحكم على علم بالفساد لوقوع الاختلاف بين اصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب العلم بالعمل فيرى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بانه لو كان

لما أصل لادركها اربابها * وقد مضى كشف هذه الشبهة في كتابنا "معيار العلم" ويرى قوم يعتقدون صحة النجوم لصواب اتفق لواحد *وطائفة يعتقدون بطلانه لخطأ اتفق لواحد والكل خطأ بل ينبغى أن يعرف الشيء فى نفسه فلا كل علم يستقل به كل شخص * ولذلك قال علي رضى الله تعالى عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله ﴿ الوظيفة السابعة ﴾ ان العمر اذا لم يتسع لجميع العلوم فينبغي أن يأخذ من كل شيء أحسنه فيكتفى بشمة من كل علم ويصرف الميسور من العمر الى العلم الذى هو سبب النجاة والسعادة وهو غاية جميع العلوم وهى معرفة الله[1] على الحقيقة والصدق * فالعلوم كلها خدم لهذا العلم وهذا العلم حر لا يخدم غيره *ولهذا قال تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ وليس المراد تحريك عضلات اللسان بهذه الحروف ولذا قال ﴿ من قال

---

(١) وهي لا تنال الا بامرين حرية العقل النظرى المحررة له من رق التقليد والوهم — وحرية العقل العملى المحررة له من عبودية الجسم فاذا تم له هاتان الحريتان يصل الى مالاعين رأت ولااذن سمعت ولا خطر على قلب بشر *

لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ﴾ فان حركة الاطراف قليل
الغناء اذا لم يكن مؤثرا فى القلب أولم يكن صادرا عن اثر راسخ
في القلب اوله اعتقاد يسمى ايمانا * ثم ينتهي ترتيبه الى مثل
أيمان ابي بكر الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح هـذا مع
التصريح بانه مافضلكم بكثرة صيام وصلاة ولكن بسر وقر
فى قلبه *فان كان منتهى العلم بالله اعتقاد مااعتقده المقلد المتكلم
المتعلم بتحرير الدليل فما عندى ان هذا يعجز عنه عمر وعثمان
وكافة الصحابة حتى كان قد فضلهم أبو بكر به ـ وبهذا يستبين
للمنصف ان طريق الصوفية وان كان يرى مائلا عن اكثر
الظواهر فمشهود له من الشرع بشواهد قوية فلا ينبغي ان
يعاديها الجاهل لجهله وقصوره عنها * وعلى الجملة فمعرفة الله
غاية كل معرفة وثمرة كل علم على المذاهب كلها * وقد روى
انه رئي صورتا حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفى
يد أحدهما رقعة فيها ﴿ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك
أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب
وموجد الاشياء ﴾ وفي يد الآخر ﴿ كنت قبل ان عرفت الله

أشرب واظمأ حتى اذ عرفته رويت بلا شرب ﴿ الوظيفة الثامنة ﴾ ان تعرف معنى كون بعض العلوم أشرف من بعض فان شرف العلم يدرك بشيئين ﴿ أحدهما ﴾ بشرف ثمرته والآخر بوثاقة دلالته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة علم الدين الحياة الابدية التي لا آخر لها فكان أشرف من علم الطب الذي ثمرته حياة البدن الى غاية الموت * وأما الحساب اذا اضفته الى الطب فالحساب أشرف باعتبار وثاقة دلالته فان العلوم بها ضرورية غير متوقفة على التجربة بخلاف الطب * والطب أشرف باعتبار ثمرته فان صحة البدن أشرف من معرفة كمية المقادير * والنظر الى شرف الثمرة أولى من النظر الى وثاقة الدليل * وأشرف العلوم ثمرة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله وما يعين عليه فان ثمرته السعادة الابدية ﴿ الوظيفة التاسعة ﴾ أن تعرف أنواع العلوم بقول جلي وهى ثلاثة * علم يتعلق باللفظ من حيث يدل على المعنى * وعلم يتعلق بالمعنى المجرد * أما المتعلق باللفظ فهو ما عرف به المعانى بالحس وأريد ان تعرف الالفاظ الموضوعة بالاصطلاح

للدلالة عليها وهي قسمان ﴿أحدهما﴾ علم اللغات والآخر لواحقها كعلم الاشتقاق والاعراب والنحو والتصريف وعلم العروض والقوافي * وقد ينتهي الى العلم بمخارج الحروف وما يتعلق به * وأما المتعلق بالمعنى من حيث يدل باللفظ عليه فعلم الجدل والمناظرة والبرهان والخطابة فان الناظر في هذه العلوم عالم باللغة وموجب الالفاظ وعالم بالمعاني وعالم بترتيب ايرادها وكيفية نظمها على وجه يؤدي الى تحصيل العلم اليقيني فيكون برهانا أو الى افحام الخصم فيكون جدلا او الى اقناع النفس الاقناع الذي يبتغى للاستدراج والمحالة فيسمى خطابة ووعظا ويسمى أيضاً دليلا فانها تدل المخاطبين على المقاصد وتسوقهم الى اعتقاداتهم التى فيها نجاتهم وعليه أكثر دلالات الأخبار [1] والقرآن المستدل بها على الكفار وهو أكثر أنواع الادلة نفعا وأعمها

---

(١) يعنى عند اجرائها على الظواهر المتبادرة منها وهى المفاهيم الجمهورية والا فالتغلغل في حقائقها يهدى الى دقائق العلوم البرهانية اليقينية انتهى مصححه *

في حق الجماهير جدوى * فاما البرهان الحقيق اليقيني فلا يستقل بفهمه ودركه الا أكابر العلماء المحققين الذين لا تسمح الاعصار بآحادهم * واما الجـدل فأقل الاقسام فائدة في الارشاد اذ المحقق لا يقنع بما ينبى دلالته على تسليم الخصم وليس مسلما فى نفسه *والعامي لا يفهمه بل يكل فهمه عن دركه والمشاغب المناظر فى أكثر الامر اذا أفحم استمر على اعتقاده واحال بالقصور على نفسه وقال لو كان صاحب مذهبي حيا وحاضرا اقدر على الانفصال عنه *وأكثرماذكره المتكلمون في مناظراتهم مع الفرق جدليات ـ وهكذا ما يجرى فى مناظرات الفقه ـ ولذلك لا تنكشف مناظرة عن تنبه متنبه برجوعه عن مذهبـه الى غيره * واما القسم الثالث المتعلق بالمعنى فضربان علمي مجرد وعملي * اما العلمي فمعرفة الله تعالى ومعرفة الملائكة والانبياء أى معرفة النبوة ومراتبها ومراتب الملائكة وملكوت السموات والارض وايات الآفاق والانفس وما بث فيها من دابة* ومعرفة الكواكب السماوية والآثار العلوية* ومعرفة أقسام الموجودات كلها* وكيفيـة

ترتب البعض منها على البعض وكيفية ارتباط البعض منها بالبعض وكيفية ارتباطها بالاول الحق المقدس عن الارتباط بغيره ومعرفة القيمة والحشر والنشر والجنة والنار والصراط والميزان ومعرفة الجن والشياطين وتحقق ان ما سبق الى الافهام العامية من ظاهر هذه الالفاظ حتى تخيلوا منها في الله تعالى أمورا من كونه على العرش وفوق العالم بالمكان وقبله بالزمان وما اعتقدوه في الملائكة والشياطين وفي أحوال الآخرة من الجنة والنار هل هي كما اعتقدوه من غير تفاوت او هي أمثلة وخيالات ولها معان سوى المفهوم من ظاهرها * فتحقق هذه الامور بالصدق والحقيقة الصافية عن الشك ورجم الظنون المنفكة عن المرية والتخمين هي العلوم النظرية المجردة عن العمل * واما العملي فهي الاحكام الشرعية والعلوم الفقهية والسنن النبوية وذلك معرفة سياسة النفس مع الاخلاق كما مضى ومعرفة تدبير أهل البيت والولد والمطعم والملبس وكيفية المعيشة والمعاملة * وهذا علم الفقه ويشتمل على ربع المعاملات والنكاح والعقوبات * ثم اذا

عرف أنواعها فينبغي ان يعرف مراتبها كيلا يضيع العمر الا في المقصود أو فيما يقرب منه * واما المقتنع بالقسم الاول المتعلق باللفظ فمختصر على القشر المحض * والقانع منه بالنحو والاعراب والعروض ومخارج الحروف فقانع أيضا من القشرة بأوجهها * وأما الخائض في تعرف الطريق الذي به يتميز الدليل الحقيقي عن الاقناع فمشتغل بأمر مهم فان اقتصر عليه فهو مقتصر على الآلة والوسيلة كمن يقصد الحج فيشتري الجمل ويعد الزاد والراحلة ويقعد في بيته فذلك مهم وضروري لكونه آلة ضرورية ولكن اذا لم يستعمل في المقصد لافائدة له فلا خير في مجرد السلاح اذا لم يستعمل في القتال * واما الخائض في العلوم العملية المقتصر عليها أعني الفقهيات وتفصيلها فحاله أقرب من حال المقتصر على اللغات فهو بالاضافة اليه عظيم القدر كما ان العلم باللغات أيضا بالاضافة الى العلم بالرقص والزمر عظيم ولكن ان أضيف الى جانب المقصود فهو في غاية البعد ولا يتشكل ذلك الا بمثال * فاذا علق السيد عتق عبده على ان يحج ووعده بعد ذلك بما ينال به الرئاسة فله ثلاث

مقامات في الوصول الى سعادة العتق وما بعده ﴿ الاول ﴾ تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد ﴿ والآخر ﴾ السلوك لمفارقة الوطن والتوجه الي المقصد منزلا بعد منزل ﴿ الثالث ﴾ الاشتغال بالحج ركنا فركنا ثم العتق معه مع التعرض لاستحقاق المال الموصل الي السعادة وله في كل مقام منازل من أول أعداد الاسباب الى آخره ومن أول سلوك الطريق الى آخره *وليس قرب من ابتدأ باركان الحج من السعادة كقرب من ابتدأ بالاستعداد ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك * فوزان الحج مما نحن فيه كمال النفس بطهارة الاخلاق وقطع الرزائل كلها وكمالها مع ذلك بانكشاف الحقائق لها * ومثال المال الموصل الى الرئاسة ههنا الموت الذي يكشف الحجاب الحائل بينه وبين رتبة مشاهدة نفسه وكمالها وجمالها ليرى نفسه من الكمال في أعلى عليين فيفرح به ويسر سروراً مؤبداً * ومثال سلوك منازل الطريق منزلا بعد منزل سلوك مهذب الأخلاق في محو الأخلاق الرديئة عن نفسه خلقا بعد خلق وطالب العلوم النظرية التي ذكرناها

دون سائر العلوم علما بعد علم * ومثال الاستعداد بخرز الراوية
وشراء الزاد والناقة سائر العلوم الخادمة للعلوم النظرية من
الفقهيات واللغويات * فالمتعلم للفقه كالخارز للراوية والمقتصر
عليه كالمقتصر على الراوية * والمقتصر على اللغة كالمقتصر على
دباغة الجلد الذي يتخذ منه الراوية مثلا فان الحاج لا يستغني
عن الدباغ ومستغرق اوقاته بمعرفة تفريعات الفقة على
ما يشتمل عليه الخلافيات في هذا العصر مما لم يعهد في عصر
الصحابة كمستغرق أوقاته في احكام الراوية بعد سلوك الخيوط
التي يخرزها وتحسن الخرز * فان قلت فهذا ان قلته عن اعتقاد
فهو خلاف اجماع الفقهاء وان قلته حكاية فمن المعتقد لهذا
المذهب * فأقول لست أقوله الا حكاية عن المذهب الذى
مدار أكثر هذا الكتاب على وضعه وهو مذهب
التصوف * وقد اتفقوا على المعنى الذى يفهمه هذا المثال وان
لم يكن هذا المثال بعينه من جهتهم * فان قلت فهل ما قالوه حق
أم لا * فأقول ليس هذا الكتاب لبيان الحق والباطل
بالبرهان في هذه الامور بل هي وصايا تنبه على الغفلة

وترشد الى مواضع الطلب كي لا يغفل الانسان عما قالوه فانّ امكانه ليس ببعيد في أول الأمر فليبحث المتعلم المسترشد عنه ليعرف سرّه وغائلته * فان قلت اني وان كنت لا اعتقد مذهب التصوف فلا تسمح نفسي أيضاً بعد ان استغرقت عمري في الفقه خلافا ومذهبا ان انحط عند الصوفية الى هذه الرتبة الخسيسة فأرى بهذه العين فلم قلت ان مذهبهم يوجب هذا ﴿ فاعلم ﴾ انك تتحقق السبب ان علمت تفاصيل ما سبق من ارتباط السعادة بمحو واثبات عن النفس وفيها وان المحو لما لا ينبغي ان يكون تزكية لها والاثبات لما ينبغي ان يكون تكميلا لها بكشف الحقائق فيها — وذلك لا يحصل الا بتهذيب الاخلاق والتفكر في آلاء الله وملكوت السموات والأرض حتى تنكشف اسرارها * والفقه انما يحتاج اليه من حيث انه محتاج اليه البدن * والبدن لا يبقى الا بعلم الأبدان وهو الطب * وعلم الأديان وهو الفقه اذ الآدمي خلق بحيث لا يمكن ان يعيش وحده كالبهيمة الوحشية بل يفتقر الي ان يكون بين جمع متعاونين على أشغال كثيرة في تهيئة المطاعم

والملابس وآلاتهما * ولا بد اذ كان لهم اجتماع من ان يكون بينهم عدل وقانون فى المعاملة عليه يترددون ولولاه لتنازعوا وتقاتلوا وهلكوا * فالفقه هو بيان ذلك القانون وتفصيله في ربع النكاح والمعاملات والعقوبات* فالبدن فى طريق السائرين الى الله تعالى يجري مجرى الناقة والراوية فى طريق الحج * ومصالح الابدان كمصالح الناقة * والراوية والعلم المتكفل بمصالح البدن كالصناعة المتكفلة بخرز الراوية وتقديرها وتطهيرها * ورتبته من هذا المقصد كرتبتها من ذلك المقصد ان صح ما ذكروه في السلوك والاستعداد والمقصد * وانهم يقولون لولا ارادة الله عمارة الدنيا لارتفعت الحجب وزالت الغفلة وتوجه الخلق كلهم الى سبيل الله وترك كل فريق ما هو بعيد عن المقصود ولكن كل حزب بما لديهم فرحون وبه قوام العالم بل لولاه لبطلت الصناعات* فلولم يعتقد الخياط والحائك والحجام في صنعته ما يوجب ميله اليها لتركها واقبل الكل على أشرف الصنائع ولبطلت كثرة الصنائع فان هذه الاسباب ضرورية في تهيئة الاسباب من أرباب الصنائع

فمن رحمة الله غفلتهم بوجه من الوجوه * وعليه حمل بعضهم
قوله عليه السلام ﴿ اختلاف امتي رحمة ﴾ يعني اختلاف هممهم
ولو عرف الكناس ما في صناعتـه لتركها ولاضـطر العلماء
والخلفاء والاولياء ان يتولوها بأنفسهم — وكذلك الدباغة
والحدادة والزراعة وجميع الامور * فلولا أن الله تعالى حبب
علم الفقـه والنحو ومخارج الحروف والطب والفقه في قلوب
طوائف لبقيت هذه العلوم معطلة ولتشوش النظام الـكلي
وليس من شرط المتجرد لعلم أو صناعة أن يطلع على قـدر
رتبته ونسبته الى من فوقه بل الى من تحته * وانمـا المطلع
على جملة مراتب العلوم هو المتكـفل بالعلوم كلها وهو الذي
آتاه الله الحكمة واراه الاشياء على ما هي عليه * فهذا جواب
هؤلاء * واليك الرأي بعد هذا في الاقتصار على ما أنت فيه
أوسلوك طريق هؤلاء والبحث عن هذا الفن لتعرف حقيقة
الحق فيه ﴿ الوظيفة العاشرة للمتعلم ﴾ ان يكون قصده في كل
مايتعلمه في الحال كمال نفسه وفضيلتها *وفي الآخرة التقرب
الى الله عز وجل ولا يكون قصده الرئاسة والمال ومباهاة

السفهاء ومماراة العلماء فقد قال عليه السلام ﴿ من تعلم العلم ليباهي به السفهاء ويماري به العلماء دخل النار ﴾ وقد سبق ان العلوم لها منازل فى الوصول بها الى الله عز وجل والقوام بتلك العلوم كحفظة الرباطات فى طريق الجهاد * فاذا عرف كل أحد رتبته ووفاه حقه وقصد به وجه الله تعالى لم يضع اجره فان الله يرفعه بقدر علمه فى الدنيا وللآخرة * وقال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقال ﴿ هم درجات عند الله ﴾ ولا ينبغى أن يفتر رأيك فى العلوم بما حكيناه من طريق الصوفية فانهم لايعتقدون حقارة العلوم بل يعتقد كل مسلم حرمتها وعظمتها * وما ذكروه انما أوردوه بالأضافة الى مرتبة الأولياء والانبياء وذلك جار مجرى استحقارك الصارفة عند قياسهم بالسلاطين والوزرآء * وذلك لايوجب نقيصتهم مهما قستهم بالكناسين والدباغين ولا تطالب من نزل عن الرتبة القصوى لسقاطة القدر بها فان الرتبة القصوى للأنبياء ثم للأولياء ثم للعلماء على تفاوت مراتبهم ثم للصالحين في الأعمال * وبالجملة ﴿ فمن

يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ ومن قصد التقرب الى الله بالعلوم نفعه الله ورفعه لا محالة * فهذه هي الوظائف للمتعلم *
وأما وظائف المعلم المرشد فهي ثمان ﴿واعلم﴾ قبل كل شيء أن للانسان في العلم أربعة أحوال كما في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادّخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال افادته غيره بالانفاق فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله * فكذلك العلم كالمال ولصاحبه حال استفادة وحال تحصيل وهو فيه محصل مستغن عن السؤال وحال استبصار وهو تفكره في المحصل وحال تبصير وتعليم وهو أشرف أحواله * فمن أصاب علما فاستفاده وافاد كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة والمسك الذي يطيب وهو طيب * ومن أفاد غيره ولم ينتفع به فهو كالدفتر يفيد غيره وهو خال عنه وكالمسنّ يشحذ غيره ولا يقطع اوكذبالة المصباح تضيء غيرها وهي تحترق *
فأول وظائف المعلم أن يجرى المتعلم منه مجرى بنيه كما قال

عليه السلام ﴿ انما انا لكم مثل الوالد لولده ﴾ وليعتقد المتعلم ان حق المعلم أكبر من حق الأب فانه سبب حياته الباقية والأب سبب حياته الفانية * وكذلك قال الاسكندر لما قيل له أمعلمك اكرم عليك أم أبوك * فقال بل معلمي وكما أن من حق بنى الأب الواحد ان يتحابوا ولا يتباغضوا — فكذلك حق بني المعلم بل حق بنى الدين الواحد فان العلماء كلهم مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق * والترافق فى الطريق يوجب تاكد المودة فأخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة * وانما منشأ التباغض ارادتهم بالعلم المال والرياسة فيخرجون به عن سلوك سبيل الله ويخرجون عن قوله تعالى ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ ويدخلون تحت قوله ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ ﴿ الوظيفة الثانية ﴾ ان يقتدى بصاحب الشرع فلا يطلب على افادة العلم اجرا وجزاء قال تعالى ﴿قل لا اسئلكم عليه اجرا ﴾ فان من يطلب المال واغراض الدنيا بالعلم كمن نظف اسفل مداسه بوجهه ومحاسنه فجعل المخدوم خادما اذ خلق الله الملابس والمطاعم خادمة

للبدن وخلق البدن مركبا وخادما للنفس * وجعل النفس خادما للعلم * فالعلم مخدوم ليس بخادم * والمال خادم ليس بمخدوم ولا معنى للضلال الا عكس هذا الامر * والعجب ان الامر قد انتهى بحكم تراجع الزمان وخلوّ الاعصار عن علماء الدين الى ان صار المتعلم يقلد معلمه ليستفيد منّة ويجلس بين يديه ويطمع فى اغراض دنيوية عوضا عن استفادته — وهذا غاية الانتكاس ومنشأ ذلك طلب المعلمين الرياسة والتجمل بكثرة المستفيدين لقصور علمهم وعدم ابتهاجهم بكمال علومهم الذاتية فاطمع ذلك المستفيدين منهم فيهم ﴿ الوظيفة الثالثة ﴾ ألا يدخر شيئا من نصح المتعلم وزجره عن الاخلاق الردية بالتعريض والتصريح ومنعه ان يتشوق الى رتبة فوق استحقاقه وان يتصدى لاشتغال فوق طاقته وان ينبهه على غاية العلوم * وانما هي السعادة الاخروية دون اغراض الدنيا فان رأى من لا يتعلم الا لاجل طلب الرياسة ومباهاة العلماء لم يزجره عن التعلم فاشتغاله بالتعلم مع هذا القصد خير من الاعراض فانه مهما اكتسب العلم تنبه بالآخرة لحقائق الامور وان الطالب بالعلم

لاغراض الدنيا مغبون * وقد بين العلماء هـذا المعنى بقولهم
تعلمنا العلم لغير الله فأبى العـلم أن يكون الا لله بل أقول ان
كان الناس لا يرغبون في تعلم العـلم لله فينبغي أن يدعوهم الى
نوع من العلم يستفاد به الرياسة بالاطماع فى الرياسة حتى
يستدرجهم بعد ذلك الى الحق ـ ولهذا رؤي الرخصة في علم
المنـاظرة فى الفقهيات لانها بواعث على المواظبة لطلب المباهاة
أولا ثم بالآخرة يتنبه لفساد قصده ويعدل عنـه الى المنهج
القويم ويجري هـذا المجرى من قصدنا في ارهاق الصبي الى
التعلم بالاطماع فى الرياسة انا نطمعه فيـه بالصولجان وشراء
الطيور وأسباب اللعب ونطلق له ذلك في بعض الاوقات لتنبعث
دواعيه الى التعلم ابتداء طمعاً فيما رعيناه آخرا تدريجاً * وقد
جعل الله تعالى قصد الرياسة من تعلم العلم حفظا للشرع والعلم
ويجري تحريض المتعلمين على العلم بالاطماع فى الرياسة وحسن
الذكر مجري الحب يبث حوالي القمح والملواح [1] المقيد على
الشبكة ومجرى شهوة الغذاء والنكاح التى خلقهما الله داعية

---

(١) هكذا بالاصل ولعل الاصح ألقمط أو اللوح

الى الفعل الذى فيه بقاء الشخص والنوع *ولولا هذه المصلحة
فى المناظرة لما كان يجوز أن يسمح فيها بحال من الاحوال فانها
ليست تفضي الى تغيير المذاهب وترك المتقد ﴿الوظيفة
الرابعة﴾ انه ينبغي أن ينهي عما يجب النهى عنه بالتعريض
لا بالتصريح لان التعريض يؤثر فى الزجر والتصريح بالزجر
مما يغري بالمنهى عنه *قال عليه السلام ﴿لو نهى الناس عن فت
البعر لفتوه وقالوا مانهينا عنه الا وفيه شيء﴾ وينبه على هذا
قصة آدم وحواء وما نهيا عنه *وقد قيل رب تعريض أبلغ
من تصريح. وذلك ان النفوس الفاضلة لميلها الى الاستنباط
والتنبه للخفيات تميل الى التعريض شغفاً باستخراج معناه
بالفكر* والتعريض لا يهتك حجاب الهيبة* والتصريح يرفعه
بالكلية فيستفيد المنهي جراءة على المخالفة اذا اضطر الى
المخالفة مرة أخرى ﴿الوظيفة الخامسة﴾ ان المتكفل ببعض
العلوم لا ينبغى له أن يقبح في نفس المتعلم العلم الذى ليس بين يديه
كما جرت عادة معلمي اللغة من تقبيح الفقه عند المتعلمين
وزجرهم عنه وعادة الفقهاء من تقبيح العلوم العقلية والزجر

عنها بل ينبه على قدر العلم الذي فوقه ليشتغل به عند استكمال ماهو بصدده * وان كان متكفلا بعلمين مترتبين فاذا فرغ من أحدهما رَقّي المتعلم الى الثاني وراعى فيه التدريج ﴿ الوظيفة السادسة ﴾ أن يقتصر بالمتعلمين على قدر افهامهم فلا يرقيهم الى الدقيق من الجلي والى الخفي من الظاهر هجوما وفي أول رتبة ولكن على قدر الاستعداد اقتداء بمعلم البشر كافة ومرشدهم حيث قال ﴿ انا معشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس بقدر عقولهم ﴾ وقال ﴿ ما أحد يحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة على بعضهم ﴾ وقال علي رضى الله عنه وقد أومأ الى صدره ﴿ أن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ﴾ وقال عليه السلام ﴿ كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون أتريدون أن يكذَّبَ الله ورسوله ﴾ وقال تعالى ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ﴾ * وسئل بعض المحققين عن شيء فأعرض * فقال السائل أما سمعت قول رسول الله عليه السلام ﴿ من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ﴾ فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته

فليلجمني به ولما قال تعالى ﴿ ولا تأتوا السفهاء أموالكم ﴾ نبه على ان حفظ العلم وامساكه عمن يفسده العلم أولى * ولما قال تعالى ﴿ فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ﴾ نبه على ان من بلغ رشده فى العلم ينبغي أن يبث اليه حقائق العلوم ويرقى من الجلي الظاهر الى الدقيق الخفي الباطن فليس الظلم فى منع المستحق بأقل من الظلم في اعطاء غير المستحق * وقال المتقدم فى مثل ذلك *

﴿فمن منح الجهّال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم﴾

وادخار حقائق العلوم عن المستحق لها فاحشة عظيمة * قال الله تعالى « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمون » ﴿ الوظيفة السابعة ﴾ ان المتعلم القاصر ينبغي أن يذكر له ما يحتمله فهمه ولا يذكر له ان وراء ماذكرت لك تحقيقا وتدقيقا أدّخره عنك فان ذلك يفتر رأيه فى تلقف ما القى اليه بل يخيل اليه أنه كل المقصود حتى اذا استقل به رقى الى غيره بالتدريج * ومن هذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع واعتقد الظاهر وحسن

حاله في السيرة فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده وينبه على
تأويلات الظواهر فان ذلك يؤدى الى أن ينحل عنه قيد الشرع
ثم لا يمكن أن يقيد بتحقيق الخواص فيرتفع السد الذى بينه
وبين الشرور فينقلب شيطانا وشريراً بل ينبغى أن يرشد
الى علم العبادات الظاهرة والامانة فى الصناعة التى هو بصددها
وأن يملأ نفسه من الرغبة والرهبة على الوجه الذى نطق به
القرآن وأن لا يولد له شبهة فان تولدت شبهة وتشوقت نفسه
الى حلها فيعالج دفع شبهته بما يقنع به من كلام عامي وان لم
يكن على حقائق الادلة * ولا ينبغى أن يفتح له باب البحث
والطلب فانه يعطل عليه الصناعة التى بها تعمر الارض وينتفع
الخلق * ثم يقصر عن درك العلوم فان وجد ذكيا مستعداً
لقبول الحقائق العقلية جاز أن يساعده على التعليم الى أن تنحل
له الشبهات * وقد حكى عن بعض الامم السالفة انهم كانوا يختبرون
المتعلم مدة فى أخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديا منعوه التعلم أشد
المنع * وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردي فيصير العلم
آلة شر فى حقه وان وجدوه مهذب الاخلاق قيدوه فى دار العلم

وعلموه وما اطلقوه قبـل الاستكمال خيفـة أن يقتصر على البعض ولا تكمل نفسه فيفسد به دينه ودين غيره — وبهذا الاختبار قيـل ﴿ نعوذ بالله من نصف متكلم ونصف طبيب فذلك يفسد الدين وهذا يفسد الحياة الدنيا ﴾ ﴿ الوظيفة الثامنة ﴾ أن يكون المعلم للعلم العملي أعني الشرعيات عاملا بما يعلمه فلا يكذب مقاله بحاله فينفر الناس عن الاسترشاد والرشد — وذلك أن العمل مدرك بالبصر والعلم بالبصيرة وأصحاب الابصار اكثر من ارباب البصائر فليكن عنايته بتزكية اعماله اكثر منه بتحسين علمه ونشره * وكل طبيب يتناول شيئا وزجر الناس عنه وقال لا تتناولوه فانه سم يحمل على الهزؤ والسفه واتهم واعتقد فيه أنه انفع الاشياء * وانما هو الذي يريد أن يستأثر به فينقلب النهي اغراء وتحريضا * والمتعظ من الواعظ يجري مجرى الطين من النقش والظل من العود وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف يستوي الظل والعود أعوج ولذلك قيل *

﴿ لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم ﴾

بل قال الله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ﴾

ولذلك قيل وزر العالم فى معاصيه اكثر من وزر غيره لانه يقتدي به فيحمل اوزاراً مع اوزاره كما قال عليه السلام ﴿ من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ﴾ فعلى كل عاص فى كل معصية وظيفة واحدة وهو تركها وترك الاظهار كيلا يتبعه الناس فاذا أظهر فقد ترك واجبين وان أخفى فقد ترك أحد الواجبين * ولذلك قال علي رضي الله تعالى عنه ﴿ قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك فالجاهل يغر الناس بنسكه والعالم يغرهم بتهتكه ﴾

﴿ بيان تناول المال وما فى كسبه من الوظائف ﴾

اعلم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأن الدنيا مزرعة للآخرة ففيها الخير النافع وفيها السم الناقع * ومثالها مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لايدري * وقيل المال من الخيرات المتوسطة فانه ينفع من وجه ويضر من وجه فلم يكن بدّ من الاقتصار على النافع منه والاحتراز من المهلك منه * وأصل ذلك معرفة رتبة المال من المقاصد فان أصل الامور كلها العلم بحقائق

الاشياء فنقول على طالب السعادة الاخروية وظائف في حق
المال من حيث جهة الدخل وجهة الخرج * وقدر المتناول بالنية
الواجبة في تناوله ﴿ الوظيفة الاولى ﴾ معرفة رتبته فقد سبق
أن المقتنيات المرغوب فيها ثلاثة نفسية ثم بدنية ثم خارجية
والخارجية ادناها رتبة والمال من جملة الخارجية وادناها الدراهم
والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما اذ النفس تخدم العلم
والفضائل النفسية لتحصلها * والبدن يخدم النفس فيكون آلة
والمطاعم والملابس تخدم البدن * والدراهم والدنانير تخدم المطاعم
والملابس * وقد سبق أن المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن
البدن تكميل النفس فمن عرف هذا الترتيب وراعاه فقد
عرف قدر المال ووجه رتبته وعرف وجه شرفه من حيث
هو ضرورة كمال النفس * ومن عرف غاية الشئ واستعمله
لتلك الغاية فقد أحسن الى الغاية وعند ذلك يقتصر على قدر
الحاجة الموصلة الى الغاية فلا يركن اليه معتكفا بكنه همته عليه وبهذا
النظر ينكشف له الشبهة في ذم الله تعالى المال في مواضع حيث
قال ﴿ انما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ ومدحه حيث امتن به

فقال ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ﴾ فانه من حيث كونه وسيلة للآخرة محمود ومن حيث كونه صارفا عنها مذموم * ولذلك قال عليه السلام نعم المال الصالح * وقال تعالى ﴿ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ وكيف لا يكون خاسرا من يجمع الشعير لدابته فيضع الدابة ويشتغل بتنقية الشعير وعدة حباته وبناء حصن حواليه حتى تهلك الدابة جوعا — وهذا مثال من صرفته الدنيا عن الآخرة وهو الخسران بل مثال الناس كلهم في الاغترار بزهرة الدنيا والاعتكاف على لزوم لذاتها * مثال راكبي سفينة متوجهين الى أفضل بلدة ينال فيها أعلى رتبة فأفضت بهم السفينة الي جزيرة ذات أسود واساود فأمروا بالخروج تهيئة للطهارة وان يكونوا على حذر من غوائل الجزيرة فرأوا حجرا مزبرجا وزهرا منورا فأعجبهم ذلك وشغفوا به فتباعدوا عن المركب ونسوا المركب والمقصد وبقوا لاهين حتى سارت السفينة وجن عليهم الليل فثارت عليهم الأسود تفترسهم والأساود تنهشهم ولم يغن عنهم حجرهم وزهرهم شيئا

فيقول واحد منهم ياليتني كنت ترابا والآخر يقول ما أغنى
عني ماليه هلك عني سلطانيه * والآخر يقول ياحسرتا على
ما فرطت في جنب الله ولم يبق بأيديهم الا حسرة وندامة
لا آخر لها ومجاورة الافاعى والاسود مع الخزى والنكال
فهذا بعينه مثال المغترين بمتاع الدنيا * ولهذا الخطر العظيم
استعاذ الخليل ابراهيم وقال ﴿ اجنبني وبنى ان نعبد الاصنام ﴾
وعنى به هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة
أجل من ان يخشى فيها ان تعتقد الالهية في شئ من
الحجارة * ولهذا قال علي ﴿ ياحميراء غرّى غيري ويابويضاء
غرّى غيري ﴾ ولذلك شبه عليه السلام طلاب الدنانير
والدراهم المشغوفين بهما بعبدة الحجارة * فقال تَعِسَ
عبد الداهم تعس عبد الدنانير ولا انتعش واذا شيك فلا
انتقش ﴿ الوظيفة الثانية فى مراعاة جهة الدخل والخرج ﴾
فالدخل اما بالاكتساب واما بالبخت أما البخت فميراث
او وجود كنز أو حصول عطية من غير سؤال * وأما
الكسب فجهاته معلومة * ومن أخذ من حيث كان مذموم

شرعا فلا ينبغى أن يأخذ الا من وجهه * والوجوه الطيبة
معلومة من الشرع * فان وجد حلالا طيبا فليأخذه وان كان
حراما محضا فليجتنبه * وان كان مشتبها والغالب انه حرام
فليجتنبه * وان كان الغالب انه حلال فان قدر على الحلال
المطلق من غير تعب فليترك * فانّ من حام حول الحمى
يوشك أن يقع فيه وان لم يتيسر الحلال المطلق فليأخذ منه
قدر الحاجة فان كان يقدر على الحلال المطلق ولكن بمدطول
التعب واستغراق الوقت * فان كان من العباد العاملين بالجوارح
مع اعتقاد عامي مصمم فليشتغل بطلب الحلال فان تعبه
فى طلب الحلال عبادة كتعبه فى سائر العبادات * وان كان
من أصحاب القلوب وأرباب العلوم وكان يتعطل عليه ماهو
بصدده لو استغرق أوقاته فى الحلال المطلق فليأخذ من
الذى يتيسر قدر حاجته فان المحظور المحض قد ينقلب مباحا
خوفا من محظور آخر أشر منه * فمن غُصّ بلقمة فله ان
يتناول الخمر حذرا من فوات النفس * والعلم وعمل القلب
لا يوازيه غيره * فالكل خدم له فكما يباح اتلاف

مال الغير على النفس بل يحل تناول لحم الخنزير - فكذلك في محل الشبهة يتساهل في التحريض على العلم وعند هذا قد يثور شغب الجاهل مهما تناول العالم ما زجر عنه الجاهل اذ لا يدرك الجاهل تفاوت هـذه الدقيقة بينهما وليكن العالم متلطفاً فى ذلك كيلا يحرك سلاسل الشيطان ﴿الوظيفة الثالثة في المقدار المأخوذ﴾ ومهما عرفت أن المال لماذا دائر فمعناه مقـدار الحاجة المذكورة ولاغنى بك عن ملبس ومسكن ومطعم وفي كل واحد ثلاث مراتب ادنى واوسط وأعلى * وادنى المسكن ما يقـل من الارض من رباط أو مسجد أو وقف كيفما كان واوسطه ملك لا تزاحم فيه فتقدر على أن تخلو فيه بنفسك وتبـقى معك عمرك وهو على أقل الدرجات من حسن البناء وكثرة المرافق وهو حد الكفاية * واعلاه دار فيحاء فسيحة مزينة البناء كثيرة المرافق وتتبعها زيادات لا تنحصر على ما يرى عليه أرباب الدنيا واولى الرتب والاول هو قدر الضرورة اذ المقصود من المسكن أرض تقلك يحيط بها حائط يمنع عنك السباع ويظل عليك سقف يمنع المطر وحر الشمس ولن

يقنع به الا المتوكلون والاوسط هو حد الكفاية وما بعده
خارج عن حد الدين واقبال على أمر الدنيا أعنى الاشتغال
بزينتها * فاما الجلوس فيها مع الغفلة عنها دون ابتهاج بها
وطمأنينة اليها فمن المباحات * وأما صرف الاوقات الى تزيينها
فمباح للعوام على لسان الفقه الذى عُقِدَ لضرورة جهل العوام
وقصورهم عن مشافهتهم بالمنع منه * فاما فى طريق التصوف
فحرام واعنى بالتصوف ما خلق الانسان له من سلوك سبيل
القرب الى الله تعالى والعبادات لا مناقشة فيها ـ ولذلك قيل
مباحات الصوفية فريضة وفريضتهم مباحات أى يقتصرون
على قدر الضرورة من المباح ويواظبون على الفرائض كما يواظبون
على هذه فهي عندهم كالمباحات * وأما المطعم فهو الاصل العظيم
اذ المعدة مفتاح الخيرات والشرور ـ ولهذا ايضا ثلاث مراتب
ادناها قدر الضرورة وهو ما يسد الرمق ويبقى معه البدن
وقوة العبادة وذلك يمكن تقليله بالعادة تارة بتقليل الطعام
شيئا فشيئا حتى يتعود الصبر عنه عشرة أيام وعشرين * وقد
انتهى الزهاد في القدر كل يوم الى حمصة * وبعضهم في الوقت

عشرين يوماً*وقيل أربعين وهذه رتبة عظيمة يقل من يستقل بها * فان لم يقدر عليه فالدرجة الوسطى وهي في ثلث البطن كما ذكرناه من قبل * ولا ينبغي أن يزيد على القدر الذي حدده الشرع * فالزيادة عليه بِطْنة * ثم يقتصر ايضا من نوعه على الوسط كما اقتصر من قدره على الوسط فثم السعيد من قنع بقدر الكفاية من الجملة ولكن النظر يختلف في قدر الكفاية الى الوقت فرب انسان هو فارغ القلب من قوت يومه مشغول القلب بغده وينتهي حرصه الى أن يقدر لنفسه عمراً طويلا ويريد أن يفرغ قلبه طول عمره*ثم قد يقدر له حوائج فيطلب الاستظهار بالخزائن وهو الضلال المحض * والمدخر بالإضافة الى المستقبل ثلاث درجات فادناها قوت يوم وليلة واعلاها ما يجاوز سنة واوسطها قوت سنة وأرفع الدرجات درجة من يلتفت الى غده وقصر همته على يومه ومن يومه على ساعته ومن ساعته على نفَسه وقدّر نفسه كل لحظة مرتحلا من الدنيا مستعدا للارتحال* ومن لم يشتغل بهذا وكان فارغ القلب عن قوت سنة فاشتغل بما وراءه كان من المطرودين

المذكورين بقوله ﴿ يحسب أن ماله أخلده ﴾ * وأما الملبس فكذلك فيه ثلاث درجات فادناها من حيث القدر ما يستر العورة أو الجملة المعتاد سترها من أدنى الانواع وأخشنها وبالاضافة الى الوقت ما يبقى يوما وليلة كما نقل عن عمر رضى الله تعالى عنه انه رقع قميصه بورق شجر * فقيل له هذا لا يبقى فقال او أحيا الى أن يفنى * واوسطه ما يليق بمثل حاله من غير تنعم وترفه ولا ملبوس حرام كابريسم غالب * وأعلاه جمع الثياب وطلب الترفه بها على ما عليه جماهير أهل الدنيا ﴿ وأما المنكح ﴾ فانه يزيد فى حق من تاقت نفسه الى الوقاع وبحسبه تزيد الحاجة * وقد ذكرنا ما يحمد من المنكح وما يذم وفيما ذكرناه مقنع ومن ساعده من هذه الأمور قدر كفايته ثم اشتغل قلبه بغيره كان مغبونا بل ملعونا * قال عليه السلام ﴿ من أصبح آمنا في سربه معافا فى بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحزافيرها ﴾ وذلك لان الدنيا بلاغ الى الآخرة وهذا القدر كاف في البلغة فالباقى فضل على الكفاية وزيادة ووجودها فى حق العاقل

كعدمها ﴿ الوظيفه الرابعة في الخرج والانفاق ﴾ وكما للدخل
وجه معين فكذا الخرج فلا بد من مراعاة الترتيب فيه
فالانفاق محمود ومذموم كالأخذ * والمحمود منه ما يكسب
صاحبه العدالة وهو الصدقة المفروضة والانفاق على العيال*
ومنه مايكسب الحرية والفضيلة وهو ايثار الغير على النفس
على الوجه المندوب ماليه شرعا * والمذموم ضربان افراط
وتفريط * فالافراط الانفاق أكثر مما يجب بحيث لايحتمله
حاله فيما لا يجب والاخلال بالأهم والصرف الى مادونه *
والتفريط المنع عما يجب الصرف اليه والنقصان من القدر
الذي يليق بالحال * ومهما أخذ العبد المال من وجهه ووضعه
في وجهه كان محمودا مأجورا * فان قلت فمن وسع الله عليه
المال فأخذه وانفاقه بالمعروف أولى أو الاعراض عن أخذه
﴿ فاعلم ﴾ ان الناس قد اختلفوا في هذا فقالوا الناس ثلاثة
أصناف صنف هم المنهمكون في الدنيا بلا التفات الى العقبى
الا باللسان وحديث النفس وهم الاكثرون * وقد سموا
في كتاب الله عبدة الطاغوت وشرّ الدواب ونحوها *

وصنف مخالفون لهم غاية المخالفة اعتكفوا بكنه هممهم على العقبى ولم يلتفتوا أصلا الى الدنيا وهم النساك * وصنف ثالث متوسطون وفوا الدارين حقهما وهم الافضلون عند المحققين لان بهم قوام أسباب الدنيا والآخرة * ومنهم عامة الانبياء عليهم السلام اذ بعثهم الله عز وجل لاقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد * وقيل ثلاثتهم المراد بقوله تعالى ﴿ وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون ﴾ فالمراعي للدنيا والدين كما يجب وعلى ما يجب جامعا بينهما خليفة الله فى أرضه فهو السابق عند قوم * فان قلت فقد قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ ﴿ فاعلم ﴾ ان مراعاة مصالح العباد من جملة العبادة بل هي أفضل العبادات قال عليه السلام ﴿ الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله ﴾ فان قلت فقد قال بعض المحققين الناس ثلاثة رجل شغلة معاده عن معاشه فهو من الفائزين * ورجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين * ورجل مشتغل بهما وذلك

درجة المخاطرين * والفائز أحسن حالا من المخاطر ﴿ فاعلم ﴾ ان فيه سرا وهو ان المنازل الرفيعة لا تنال الا باقتحام الأخطار * وانما هذا الكلام ذكر تحذيراً وتنبيها على خطر الخلافة لله تعالى فى أمر عباده حتى لا يترشح لها من لا يقدر عليها * وقد حكي ان بعض أولاد الملوك العادلة عظمت رتبته فى العلم والحكمة فاعتزل الناس وزهد في الدنيا فكتب اليه بعض الملوك قد اعتزلت ما نحن فيه فان علمت ان ما اخترته أفضل فعرّفنا لنذر ما نحن فيه ولا تحسبنى أقبل منك قولا بلا حجة فكتب اليه ﴿ اعلم ﴾ انّا عبيد لرب رحيم بعثنا الى حرب عدو وعرفنا ان المقصد من ذلك قهره أو السلامة منه * فلما قربنا من الزحف صرنا ثلاثة أقسام * متخوف طالب السلامة منه فاعتزل عنه فالتزم ترك الملامة وان لم يكتسب المحمدة * ومتهوّر قدم على غير بصيرة فجرحه العدو وقهره واستجلب بذلك سخط ربه * وشجاع أقبل على بصيرة فقاتل وابلى واجتهد فهو الفائز التام الفوز * وانى لما وجدتني ضعيفا رضيت بأدنى الهمتين وأدون المنزلتين * فكن أيها الملك

من أفضل الطوائف تكن من أكرمهم عند الله — وهـذا الـكلام يكشف عن حقيقة الأمر فيه وينبه على صحة ذلك قوله تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ وانما يمكن الاحسان بادخال السرور على قلوب المسلمين بالمال ولكن الخطر فيه عظيم فانه ربما يشتغل من ضعفت بصيرته بما فيه ضرره من حيث لا يدري فلخطره وجبت المبالغة في الزجر عنه ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن تكون نيته صالحة في الاخذ والترك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويأكل ليتقوى به على العبادة ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقارا له فقد قال عليه السلام ﴿من طلب رزقه على ماسن فهو جهاد﴾ وقال عليه السلام لابن مسعود ﴿ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى اللقمة يضعها في فم امرأته﴾ وأراد بالمؤمن من يعرف حقائق الامور فيقصد بما يتعاطاه وجه الله والاستعانة على سلوك طريقه * وعند هذا يتبين انه ليس الزاهد من لا مال له بل الزاهد من ليس مشغولا بالمال وان كان له أموال العالمين

ولذلك قال علي رضى الله عنه لو ان رجلا أخذ جميع مافي الارض وأراد به وجه الله فليس براغب * فليكن جميع حركاتك وسكناتك لله بان تكون حركتك مقصورة على عبادة أو على مايعين على عبادة ولا يستغنى العباد عنه كالاكل وقضاء الحاجة مثلا فانهما معينان على العبادة وهما أبعد الحركات عن العبادة وعند هذا يكون الكامل النفس في تناول الدنيا كالراقي الحاذق في مس الحية متقياسمها ومستخرجاجوهرها * والعامى اذا تشبه به ونظر اليه ظن انه[1] أخذها مستحسنا شكلها وصورتها مستلينا مسها مستصحبا اياها * فاذاظن ذلك أخذها وتقلدها فقتلته وقد شبهت الدنيا بها فقيل الدنيا كحية تنفث السموم النواقع وان لان ملمسها وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطى قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالكامل في تناول الدنيا — واذا تؤمل ملك سليمان وما أوتي مع رتبة النبوة علم ان الزهد زهد النفس لا خلو اليد وكيف تضر الدنيا بالانبياء والاولياء وهم

(١) قوله انه أى الراقي والضمير في ظن للعامى

يعرفون ضرها ونفعها ورتبتها فى الوجود ويعلمون ان للانسان في وجوده ثلاث منازل ﴿ منزلة فى بطن أمـه ﴾ ﴿ ومنزلة فى فضاء العالم ﴾ ﴿ ومنزلة بعد الموت ﴾ والدنيا فى مثال رباط بنى * وينتهى اليه المسافر فى المنزل الأوسط * وقد هيئت فيه أسباب واوان وأقوات ليستعين بها المسافر وينتفع بها انتفاعه بالعارية والمنحة ويخليها لمن يلتحق بعده فيأخذها بشكر ويتركها بانشراح صدر * وقد انتهى الرباط جماعة من الحمقى فظنوا ان هذا المنزل وطن وان هذه الأسباب ليست عارية وانما هى موهبة مؤبدة فصاروا لا يخرجونها من أيديهم الا بكسر اليد ونزع الروح * وقيل ان مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا كمثل رجل هيأ داراً وهو يدعو أقواما الى داره على الترتيب واحداً بعد واحد فدخل واحـدا داره فقـدم اليه طبق ذهب عليـه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملـكه فجهل رسمه فظن انه وهب له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمـه انتفع به وشكره ورده بانشراح صدر * فهذه وظائف المباشرة لأموال الدنيا *

﴿ بيان الطريق في نفى الغم في الدنيا ﴾

مهما كان الانسان آمنا في سربه معافا في بدنه وله قوت يومه فحزنه وغمه بسبب أمر الدنيا امارة نقصانه وحماقته فان غمه ليس يخلو إما ان يكون تأسفا على ماض أو خوفا من مستقبل أو حزنا على سبب حاضر في الحال * فان كان على فائت فالعاقل بصير بأن الجزع على ما فات لا يلم شعثا ولا يرم ما انتكث * وما لا حيلة له فالغم عليه خرق * ولذلك قال تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ﴾ وقال الشاعر * وهل جزع مجد عليّ فأجزعا * وان كان على حاضر فاما ان يكون حسدا لوصول نعمة الى من يعرفه أو يكون حزنا للفقر وفقدان المال والجاه واسباب الدنيا * وسبب هذا الجهل بغوائل الدنيا وسمومها ولو عرفها معرفتها لشكر الله تعالى على كونه من المخفّفين دون المثقلين ولو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يعشقه لم يعشقه اذ يعلم ان الدنيا حمالة المصائب كدرة المشارب تورث للبرية أنواع البلية مع كل لقمة غصة فما أحد فيها الا وهو في كل حال غرض لاسهم ثلاثة سهم نقمة وسهم رزية وسهم منية *

﴿تناضله الاوقات من كل جانب * فتخطئه طورا وطورا تصيبه﴾
فمن كان معتبرا بما يتجدد كل يوم من ارتجاع النعم من أربابها وحلول القوارع بأصحابها وشدة اغتمامهم بفقدها لم يتأسف على فواتها — ولذلك قيل لبعضهم لم لا تغتم قال لاني لا أقتني ما يغمني فقده * ومهما أمعن الانسان فكره في غفلة أرباب الدنيا عن الآخرة وكثرة مصائبهم فيها تسلى عنها وهان عليه تركها * وكان بعض الصوفية وظّف على نفسه كل يوم أنّ يحضر دار المرضى ﴿أي البيمارستان﴾ ليشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان أيضا ويشاهد أرباب الجنايات ومحنهم لاقامة العقوبات وايضا يحضر المقابر فيشاهد أرباب العزاء واسفهم على مالا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه من كل البلايا وحقّ للانسان في الدنيا أن ينظر ابداً ماعاش الى من هو دونه ليشكر وفى الدين الى من هو فوقه ليشمّر والشيطان اذا استولى نكّس هذا النظر وعكسه * فاذا قيل له لم تتعاطى هذا الفعل القبيح اعتذر بان فلانا يتعاطى ماهو اكبر منه مع أنه ليس فى المعصية

ولا في الكفر مناظرة — واذا قيل له لم لا تقنع بهذا الموجود فيقول فلان أغنى مني فلم أصبر على ما ليس يصبر عنه * وهذا عين الضلال والجهل المحض * ومهما التقى الهم بهذا العائق بطل غم الحسد * فمن انعم الله عليه بنعمة فان كان يستحقها لم يغتم به وان كان لا يستحقها فوبالها عليه اكثر من نفعها * فاما ان كان الغم في الامر المستقبل فان كان على أمر ممتنع كونه أو واجب كونه مثل الموت فعلاجه محال * وان كان ممكنا كونه نظر فان كان لا يقبل الدفع كالموت قبل الهرم فالحزن له حماقة * وان كان قابلا للدفع فلا معنى للغم بل ينبغي أن يحتال لدفع بعقل غير مشوب بحزن * فاذا فعل ماقدر عليه من تمهيد حيل الدفع بقي ساكن القلب منتظراً لقضاء الله وقدره عالماً بانه لا مرد لما قضاه فيتلقاه بصبر ان لم يندفع ويتحقق ان ما قدر فهو كائن ويتذكر قوله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ الآية وانما حرص الناس على تهيئة اسباب الدنيا منشأه الغرور وحسن الظن بانحسار الآفات وتقدم صفاء الاوقات وهيهات ثم

هيهات قال علي رضي الله عنه ما قال الناس لقوم طوبى لكم الا وقد خبأهم الدهر ليوم سوء وصدق الشاعر فيما قال

﴿إن الليالي لم تحسن الى أحد * الا اساءت اليه بعد احسان﴾

وما قصر أبو منصور الثعالبي في وصف الدنيا حيث قال

تسلّ عن الدنيا ولا تخطبنها
ولا تخطبن قتالة من تناكح

فليس يفي مرجوها بمخوفها
ومكروهها لما تدبرت راجح

لقد قال فيها الواصفون فاكثروا
وعندي لها وصف لعمري صالح

سلافٌ قصاراه زعاف ومركب
شهيٌّ اذا استلذذته فهو جامح

وشخص جميل يونق الناس حسنه
ولكن له اسرار سوء قبائح

فالعاقل اذا أمعن النظر في هذه الامور خف على قلبه اكثر الهموم الا اذا كانت العلاقة قد استحكمت بينه وبين

معشوق من آدمى أو مال أو عقار أو حرفة أو رياسة أو ولاية أو أمر من الامور فلا خلاص له عن غمومها الا بعد قطع العلائق عنها * ولا يمكن ذلك الا بكف النفس عنها تدريجا والاشتغال بغيرها وان كان ذلك الغير ايضا مما يجانسها فى وجوب التباعد عنه ولكن لا بأس بغسل الدم بالدم اذا كان الاول أشد لصوقا والتزاقا — وهذه من دقائق الرياضات فان النزوع عما وقع الالف به دفعة واحدة عسر بل ممتنع — ولذلك يرقى الصبي الذى يعلم الادب بالترغيب فى اللعب بالصولجان والطيور * ثم يكف عن اللعب بالترغيب فى الثروة والمال والتزيين بالثياب الجميلة وغيرها * ثم يرقيه من ذلك بالترغيب في المحمدة والثناء ونيل الكرامة والرئاسة * ثم يرقيه بالترغيب فى سعادة الآخرة ويكون الرئاسة آخر مايخرج من رؤوس الصديقين ولقد كانت هذه المعالجة بامور محذورة في نفسها ولكن مطلوبة بالاضافة الى ما هو شر منها وكانها منازل وأطوار الآدمي يرتقى فيها واحداً واحداً ولا يمكن الخلاص الا بهذا التدريج * فليراع ذلك في كل صفة استولت على النفس

واشتدت علاقتها وبقطع العلائق تمحى الهموم *

﴿ بيان نفي الخوف من الموت ﴾

للانسان حالتان حالة قبل الموت * وحالة بعد الموت * أما قبل الموت فينبغي أن يكون الانسان فيها دائم الذكر للموت كما قال عليه السلام ﴿ أكثروا من ذكر هازم اللذات فانه ما ذكره أحد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة الا ضيقها عليه ﴾ والناس فيها قسمان * غافل وهو الاحمق الحقيقي الذي لا يتفكر في الموت وما بعده الا نظرا في حال أولاده وتركاته بعد موته ولا ينظر ويتدبر في أحوال نفسه ولكن لا يتذكر الا اذا رأى جنازة فيقول بلسانه ﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾ ولا يرجع الى الله عز وجل بافعاله الا باقواله فيكون كاذبا في أقواله تحقيقاً * وأما العاقل الكيّس فلا يفارقه ذكر الموت كالمسافر الى مقصد الحاج مثلا فانه لا يفارقه ذكر المقصد * واشتغال المنازل في الحط والترحال لا تنسيه مقصوده * وعلى الجملة فذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف غرب المنى فتهون المصائب ويحول بين الانسان وبين الطغيان * ومن ذكر الموت تتولد

القناعة بما رزق والمبادرة الى التوبة وترك المحاسدة والحرص على الدنيا والنشاط في العبادة * وينبغي أن يكون المتراخي عن عبادته ألا يصبح يوما الا ويقدر انه سيموت تقديراً للموت العاجل فانه ممكن * ومهما قدر الموت بعد سنين لم يحرص على العبادة ولم تفتر رغبته في الدنيا بل لا ينبغي أن يهمل نفسه اكثر من يوم فيصبح كل يوم على تقدير الاستعداد للرحلة نهاراً * فكل من ينتظر أن يدعوه ملك من الملوك كل ساعة فينبغي أن يكون مستعداً للاجابة فان لم يكن فربما يأتيه الرسول وهو غافل فيحرم عن السعادة * وما من وقت الا ويرى فيه الموت ممكنا * فان قلت الموت فجأة بعيد * قلت فاذا وقع المرض فالموت غير بعيد وذلك يمكن في أقل من يوم ولا يكون بعيدا وأما الاغتمام لاجل الموت فليس من العقل أيضا فان ذلك الغم لا يخلو من أربعة أوجه * اما لشهوة بطنه وفرجه * واما على ما يخلفه من ماله * واما على جهله بحاله بعد الموت ومآله * واما لخوفه على ما قدمه من عصيانه * فان كان ذلك لشهوة بطنه وفرجه فهو كمشتهي داء ليقابله بداء مثله فان معنى لذة

الطعام ازالة ألم الجوع — ولذلك اذا زال الجوع وامتلأت المعدة
كره عين ما اشتهاه كمن يشتهي القعود في الشمس ليناله الحر
حتى يتلذذ بالرجوع الى الظل وكمن يشتهي الحبس في حمام
حار ليدرك لذة ماء الثلج اذا شربه وهو عين الرقاعة والخرق
وان كان ذلك على ما يخلفه من ماله فهو بجهله بخساسة الدنيا
وحقارتها بالاضافة الى الملك الكبير والنعيم المقيم الموعود
للمتقين وان كان ذلك لجهله بعاقبة أمره بعد الموت فعليه أن
يطلب العلم الحقيقي الذي يكشف له حال الانسان بعد موته
كما قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم كاني أنظر الى عرش ربي
بارزاً وكاني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها والى أهل النار
يتلاعنون فيها * وهذا العلم انما يحصل بالبحث عن حقيقة النفس
وماهيتها ووجه علاقتها بالبدن ووجه خاصيتها التى خلقت لها
ووجه التذاذه بخاصيته وكماله مع معرفة الرذائل المانعة له من
كماله * وقد نبه الشرع عليه في مواضع كثيرة وأمر بالتفكر
في النفس كما أمر بالتفكر في ملكوت السموات والارض
وان كان ذلك لما سبق من عصيانه فلا ينفع الغم فيه بل

المداواة وهو المبادرة الى التوبة واصلاحِ ما فرط من أمره بل مثاله فى الاغتمام وترك التدارك مَثلُ من فتح عرق من عروقه وقد خرج بعض دمه وهو قادر على تعصيبه وحفظ حشاشه فأهمله وجلس متأسفاً على خروج ماخرج من دمه — وذلك أيضا من الحماقة فان الفائت لا تدارك له ولا ينفع فيه التأسف فليشتغل بالمستقبل ﴿ الحالة الثانية ﴾ حال الانسان عند الموت والناس عنده ثلاثة أقسام ﴿ الأول ﴾ ذو بصيرة علم ان الموت يعتقه والحياة تسترقه وأن الانسان وان طال فى الدنيا مكثه فهو كخطفة برق لمعت فى اكناف السماء ثمّ عادت للاختفاء فلا يثقل عليه الخروج من الدنيا الا بقدر مايفوت من خدمة ربه عز وجل والازدياد من تقربه والاشفاق مما يقول أو يقال له كما قال بعضهم لما قيل له لم تجزع قال لاني أسلك طريقا لم أعهده وأقدم على ربٍّ لم أره ولا أدري ما أقول وما يقال لي * ومثل هذا الشخص لا ينفر من الموت بل اذا عجز عن زيادة العبادة ربما اشتاق اليه وقال بعضهم في مناجاته الهي ان سألتك الحياة في دار الممات

فقد رغبت في البعد عنك وزهدت فى القرب منك فقد قال نبيك وصفيك صلى الله عليه وسلم ﴿من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله فقد كره الله لقاءه﴾ ﴿والثاني﴾ رجل ردئ البصيرة متلطخ السريرة منهمك فى الدنيا منغمس فى علائقها رضى بالحياة الدنيا واطمأن بها ويئس من الدار الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور * فاذا خرج الى دار الخلود أضر به كما تضر رياح الورد بالجعل * واذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلاء ومصباح الملأ الاعلى فكان كما قال الله تعالى ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ فان الدنيا سجن الاول وجنة الثاني ﴿والاول﴾ كعبد دعاه مولاه فاجابه طوعا فقدم عليه مسرورا بتوفره على الخدمة ﴿والثانى﴾ كعبد آبق رد الى مولاه مأسورا وقيد الى حضرته مقهورا فيبقي ناكس الرأس بين يدي مولاه مخزيا من جنايته وشتان مابين الحالين ﴿والقسم الثالث﴾ رتبة بين الرتبتين رجل عرف غوائل هذا العالم وكره صحبته ولكن أنس به والفه فسبيله

سبيل من الف يبتا مظلما قذرا ولم ير غيره فهو يكره الخروج منه وان كان قد كره دخوله * فاذا خرج ورأى ما أعد الله للصالحين لم يتأسف على ما كره فواته بل قال ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ ولا يبعد ان يكره الإنسان مفارقة شيء ثم اذا فارقه لا يتأسف عليه فالصبي وقت الولادة يبكي لما يناله من ألم الانتقال ثم اذا عقل لم يتمنّ العود اليه * والموت ولادة ثانية يستفاد بها كمال لم يكن قبل بشرط ان لا يكون قد تقدم قبل ذلك الكمال من الآفات والعوارض ما ابطل قبول المحل للكمال كما ان الولادة سبب لكمال مغبوط لم يكن عند الاجتنان بشرط ان لا يكون قد تمكن في رحم الأم من الاسباب والعلل والعوارض ما منع قبول الكمال ولكون الموت سبب كمال قال بعضهم ينبغي ان يكون دعائنا لعزرائيل عليه السلام وشكرنا له مثل دعائنا لجبرائيل وميكائيل واسرافيل فان جبرائيل وميكائيل هما سببان لأعلامنا بما فيه خلاصنا من الدنيا ونجاتنا في الآخرة — وذلك

بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم * وملك الموت سبب اخراجنا
الى ذلك السالم فحقه عظيم وشكره لازم * وقد حكى عن طائفة
من حكماء الامم السابقة انهم كانوا يعظمون رجلا بالتقديس
والتسبيح من حيث اعتقدوا انه لا يمين على الحياة العرضية
بل هو سبب الهلاك الذى به الخلاص من هذه الدنيا الدنية *

﴿ بيان علامة المنزل الاول من منازل السائرين الى الله تعالى ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان سالك سبيل الله تعالى قليل والمدعى فيه كثير * ونحن
نعرفك علامتين تجعلها امام عينيك وتعتبر بهما نفسك وغيرك
﴿ فالعلامة الاولى ﴾ أن يكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة
بميزان الشرع موقوفة على حد توقيفاته ايرادا واصدارا واقداما
واحجاما اذ لا يمكن سلوك هذا السبيل الا بعد التلبس بمكارم
الشريعة كلها ولا يمكن ذلك الا بعد تهذيب الاخلاق كما
وصفنا من قبل ولا يتوصل الى ذلك الا اذا ترك جملة من
المباحات فكيف يتأتى لمن لم يهجر المحظورات ولم يتوصل اليه
مالم يواظب على جملة من النوافل فكيف يصل اليه من أهمل
الفرائض بل الشرع في تكليفه العالم اقتصر على فرائض

ومحظورات يشترك فيها عوام الناس بحيث لا يؤدي الاشتغال بها الى خراب العالم * والسالك لسبيل الله يعرض عن الدنيا اعراضا لو ساواه الناس كلهم لخرب العالم فكيف ينال بمجرد الفرائض والواجبات اقتصارا عليها دون النوافل * ولذلك قال تعالى ﴿ لا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر ﴾ وعلى الجملة لا يدعو الى اهمال الفرائض واقتحام المحظورات الا كسل لازب أو هوى غالب * وكيف يسلك سبيل الله من هو بعد في أسراء الكسل والهوى * فان قلت فسالك سبيل الله من خاض في مجاهدة الكسل والهوى فاما من فرغ من قهرهما فهو واصل لا سالك فيقال هذا عين الغرور وجهل بالطريق والمقصد جميعا بل لو محى جميع الصفات الردية عن نفسه كان نسبته الى المقصود نسبة من يقصد الحج وله غرماء متشبثون بأذياله فقضى ديونهم وقطع علائقهم فان الصفات البدنية المستولية على الناس مثل الغرماء الآخذين بمخنقه والسباع العادية الطالبة لاقواتها فاذا محاها ودفعها فقد دفع العلائق

وبعده يستعد لابتداء السلوك بل هو كمعتدة تطمع أن ينكحها الخليفة فاذا قضت عدتها المانعة من صحة النكاح ظنت أن الامور قد تمت وهيهات فلم يحصل منها الا الاستعداد للقبول بدفع المانع وبقي اقبال الخليفة وانعامه بالرغبة — وذلك رزق الهي فما كل من تطهر وصل الى الجمعة ولا كل من قضت عدتها وصلت الى كل ما أرادت * فان قلت فهل تنتهي رتبة السالك الى حد ينحط عنه بعض وظائف العبادات ولا يضره بعض المحظورات كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل في هذه الامور ﴿ فاعلم ﴾ ان هذا عين الغرور وان المحققين قالوا لو رأيت انسانا يمشي على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع ﴿ فاعلم ﴾ انه شيطان وهو الحق * وذلك ان الشريعة حنيفية سمحة فمها مست حاجة أو حصلت ضرورة كان للشرع فيها رخصة فمن جاوز محل الرخصة فلا يكون عن ضرورة بل عن هوى وشهوة * والانسان مادام في هذا العالم لا يأمن استيلاء الشهوة وعودها الى القهر بعد الانقهار فينبغي ان يأخذ منها حذره فلا يتصور ان يدعو الى مخالفة الشرع الا طلب رفاهية

ودعة أو نوع شهوة أو نوع كسل وكل ذلك يدل على التضمخ بالأخلاق الردية المتقاضية لها فمن زكى نفسه وغذاها بغذاء العلوم الحقيقية قوى فى المواظبة على العبادة بل صارت الصلاة قرة عينه وصارت خلوة الليل أطيب الاشياء عنده لمناجاة ربه — فهذه العلامة لا بد منها في أول المنازل وتبقى الى آخرها وان لم يكن لمنازل السير الى الله تعالى نهاية * وانما الموت يقطع طريق السلوك فيبقى كل انسان بعد الموت على الرتبة التى حصلها في مدة الحياة اذ يموت المرء على ماعاش عليه ﴿ العلامة الثانية ﴾ ان يكون حاضر القلب مع الله فى كل حال حضوراً ضروريا غير متكلف بل حضوراً يعظم تلذذه وان يكون الحضور انكسارا وضراعة وخضوعا لما انكشف عنده من جلال الله وبهائه ولا يفارق ذلك فى أطواره وأحواله وان اشتغل بضروريات بدنه من تناول طعام وقضاء حاجة وغسل ثوب وغيره بل يكون مثاله فى جميع الأحوال مثال عاشق سهر فى انتظار معشوقه مدة وتعب فيه زمانا ثم قدم عليه معشوقه فاستبشر به فاستولى عليه قضاء حاجته فلزمه ضرورة مفارقته

وقصد بيت الماء فيفارقه ببدنه مضطراً والقلب حاضر عنده حضوراً لو خوطب في اثناء ماهو فيه لم يسمعه لشدة استغراق فكره بمشوقه ولا يكون ماهو فيه صارفا عن قرة عينه وهو مكره فيه * فالسالك ينبغي أن يكون كذلك في اشغاله الدنيوية بل لا يكون له شغل سوى ضروريات بدنه وهو في ذلك مصروف القلب الى الله عز وجل مع غاية الاجلال والتواضع * واذا لم يبعد أن تتحرك شهوة الجماع تحريكا هذه صفته عند من استولى عليه الشهوة ووقع في عينه جمال صورة آدمى خلقت من نطفة قذرة مذرة ويصير على القرب جيفة قذره وهو فيما بين ذلك يحمل المذرة فكيف يتعذر ذلك في ادراك جلال الله وجماله الذي لانهاية له * وعلى الجملة فلايتم سلوك هذا الطريق الا بحرص شديد وارادة تامة وطلب بليغ * ومبدأ الحرص والطلب ادراك جمال المطلوب الموجب للشوق والعشق * ومبدأ درك جمال المطلوب النظر وتحديق بصر العين نحوه اعراضا عن سائر المبصرات فكذلك بقدر ما يلوح لك من جلال الله عز وجل ينبعث شوقك وحرصك وبحسبه يكون سعيك

وانبعاثك * ثم قد يزداد العشق بطول الصحبة اذا كان يلوح
في أثنائها محاسن اخلاق كانت خفية من قبل فيتضاعف العشق
فكذلك ما يلوح من بهاء الحضرة الالهية وجلالها في أول
الأمر ربما كان ضعيفا بضعف ادراك المريد المبتدى ولكن
ينبعث منه طلب وشوق فلايزال يواظب على الفكر فى ذلك
الجمال بسببه فيطلع على مزايا فيتضاعف في كل وقت عشقه
وكما يطلب العاشق القرب من معشوقه — فكذا المريد يطلب
القرب من الله تعالى لاأن ذلك قرب بمكان أو بتماس سطوح
الاجسام أو بكمال جمال صورة بان يصير مبصراً حاضراً فى
القوة الباصرة صورته — وهذا القرب قرب الكمال لا فى
المكان والامثلة لا تخيل من هذه المعاني الا شيئا بعيداً
ولكن تشبيه ذلك بعشق التلميذ استاذه وطلبه القرب منه
فى كماله أصدق في التخيل فانه يتقرب اليه بحركته فى التعلم
ولايزال يقرب منه قليلا قليلا وغايته رتبته * وقد يكون ذلك
ممكنا وقد يكون فى بعض الاحوال متعذرا ولكن الترقى
من الرتبة التى هو بسببها فى البعد ممكن فيزداد قربا بالنسبة

والبلوغ ههنا غير ممكن * ولكن السفر عن أسفل السافلين
بقصد جهة العلو ممكن * وقد يكون الممثل فى عين التلميذ رتبة
مقيدة لا أنه يتلبس بعشق رتبة استاذه ولكن يشتاق الى
الترقى درجة درجة فلا يتشوق الى الاقصى دفعة — فاذا نال
تلك الرتبة طمحت عينه الى ما فوقها — فكذلك من ليس عالما
ينبغي له التشبه بالعلماء الذين هم ورثة الانبياء * والعلماء يتشبهون
بالاولياء والانبياء بالملائكة حتى تمحى عنهم الصفات البشرية
بالكلية فينقلبون ملائكة فى صورة الناس * والملائكة أيضا
لهم مراتب والاعلى مرتبة معشوق الأدنى ومطمح نظره
والملائكة المقربون هم الذين ليس بينهم وبين الاول الحق
واسطة ولهم الجمال الاطهر والبهاء الأتم بالنسبة الى من دونهم
من الموجودات الكاملة البهية * ثم كل كمال وجمال بالنظر الى
جمال الحضرة الربوبية مستحقر — فهكذا ينبغي ان يعتقد التقرب
الى الله عز وجل لا بأن تقدره فى بيت فى الجنة فتقرب من
باب البيت فيكون قربك بالمكان تعالى عنه رب الارباب ولا
بان تهدى اليه هدية بعبادتك فيفرح بها ويهتز لها فيرضى

عنك كما يتقرب الى الملوك بطلب رضاهم وتحصيل اغراضهم
فيسمى ذلك تقربا تعالى الله وتقدس عن المعنى الذى يتصف
الملوك به من السخط والرضى والابتهاج بالخدمة والاهتزاز
للخضوع والانقياد والفرح بالمتابعة * واعتقاد جميع ذلك جهل
فان قلت فقد اعتقد أكثر العوام ذلك فما أبعد عن التحصيل
من يطلب العنبر من دكان الدباغ وكيف تطمع في رتبة وأنت
تعرف الحق بالرجال بل أنت تعرف الحق بالحمر فلا فرق بين
العوام الذين لم يمارسوا العلوم وبين حمر مستنفرة فرت من
قسورة أما تراهم كيف اعتقدوا فى الله تعالى انه جالس على
العرش تحت مظلة خضراء الى تمام ما اعتقدوه فى المشتبهات
فأكثر الناس مشبهة ولكن التشبيه درجات * منهم من
يشبه فى الصورة فيثبت اليد والعين والنزول والانتقال * ومنهم
من يثبت السخط والرضى والغضب والسرور والله تعالى
مقدس عن جميع ذلك * وانما أطلقت هذه الالفاظ فى الشرع
على سبيل وبتأويل يفهمها من يفهمها وينكرها من ينكرها
ولو تساوى الناس في الفهم لبطل قوله عليه السلام رب حامل

فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه﴾ ولنتجاوز هذا الكلام فانه سلسلة المجانين ويحل قيود الشيطان *

﴿ بيان معنى المذهب واختلاف الناس فيه ﴾

لعلك تقول كلامك فى هذا الكتاب انقسم الى مايطابق مذهب الصوفية والى ما يطابق مذهب الاشعرية وبعض المتكلمين ولا يفهم الكلام الا على مذهب واحد فما الحق من هذه المذاهب فان كان الكل حقا فكيف يتصور هذا وان كان بعضه حقا فما ذلك الحق * فيقال لك اذا عرفت حقيقة المذهب لاتنفعك قط اذالناس فيه فريقان *فريق يقول المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب﴿ احداها ﴾مايتعصب له في المباهاة والمناظرات ﴿والاخرى﴾ مايسار به فى التعليمات والارشادات ﴿والثالث﴾ ما يعتقده الانسان في نفسه مما انكشف له من النظريات * ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار * فاما المذهب بالاعتبار الاول فهو نمط الآباء والاجداد ومذهب المعلم ومذهب أهل البلد الذى فيه النشوء — وذلك يختلف بالبلاد والاقطار ويختلف بالمعلمين * فمن ولد في بلد المعتزلة أوالاشعرية

أو الشفعوية أو الحنفية انغرس في نفسه منذ صباه التعصب له والذب دونه والذم لما سواه * فيقال هو أشعري المذهب أو معتزلي أو شفعوي أو حنفي * ومعناه انه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالاة ويجري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض * ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة باستتباع العوام ولا تنبعث دواعي العوام الا بجامع يحمل على التظاهر بجملات المذاهب في تفصيل الاديان جامعا فانقسم الناس فرقاً وتحركت غوائل الحسد والمنافسة فاشتد تعصبهم واستحكم به تناصرهم * وفي بعض البلاد لما اتحد المذهب وعجز طلاب الرياسة عن الاستتباع وضعوا أموراً وخيلوا بوجوب المخالفة فيها والتعصب لها كالعلم الاسود والعلم الاحمر فقال قوم الحق هو الاسود وقال آخرون لا بل الاحمر وانتظم مقصود الرؤساء في استتباع العوام بذلك القدر من المخالفة وظن العوام ان ذلك مهم وعرف الرؤساء الواضعون غرضهم في الوضع ﴿ المذهب الثاني ﴾ ما ينطبق في الارشاد والتعليم على من جاءه مستفيداً مسترشداً — وهذا لا يتعين على وجه واحد

بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه فان وقع له مسترشد تركي أو هندي أو رجل بليد جلف الطبع وعلم انه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته فى مكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث ان ينكر وجود الله تعالى ويكذب به فينبغي ان يقرر عنده ان الله تعالى على العرش وانه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عوضاً وجزاء * وان احتمل ان يذكر له ماهو الحق المبين يكشف له فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب مايحتمله فهمه ﴿ المذهب الثالث ﴾ ما يعتقده الرجل سراً بينه وبين الله عز وجل لايطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره الا مع من هو شريكه فى الاطلاع على ماأطلع أو بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهمه وذلك بان يكون المسترشد ذكياً ولم يكن قد رسخ فى نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لايمكن محوه منه ويكون مثاله كـكاغد كُتب عليه ما غاص فيه ولم يمكن ازالته الا بحرق

الكاغد وخرقه – فهذا رجل فسد مزاجه ويئس من صلاحه فان كل ما يذكر له على خلاف ماسمعه لايقنعه بل يحرص على ان لايقنع بما يذكرله ويحتال في دفعه * ولوأصغى غاية الاصغاء وانصرفت همته الى الفهم لكان يشك في فهمه فكيف اذا كان غرضه ان يدفعه ولا يفهمه فالسبيل مع مثل هذا ان يسكت عنه ويترك على ما هو عليه فليس هو بأول أعمى هلك بضلالته – فهذا طريق فريق من الناس * وأما الفريق الثاني وهم الاكثرون يقولون المذهب واحد هو المعتقد وهو الذي ينطق به تعليما وارشادا مع كل آدمى كيفما اختلفت حاله وهو الذي يتعصب له وهو اما مذهب الاشعري أو المعتزلي أوالكرامي أو أي مذهب من المذاهب والأولون يوافقون هؤلاء على انهم لو سئلوا عن المذهب انه واحد أو ثلاثة لم يجز ان يذكر انه ثلاثة بل يجب ان يقال انه واحد – وهذا يبطل تعبك بالسؤال عن المذهب ان كنت عاقلا فان الناس متفقون على النطق بان المذهب واحد * ثم يتفقون على التعصب لمذهب أبيهم أو معلمهم أو أهل بلدهم ولو ذكر ذلك كل مذهبه فما

منفعتك فيه ومذهب غيره يخالفه وليس مع واحد منهم معجزة يترجح بها جانبه فجانب الالتفات الى المذاهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ولا تكن فى صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك الى طريق وحواليك الف مثل قائدك ينادون عليك بانه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل * وستعلم فى عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص الا فى الاستقلال *

﴿خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به
فى طالع الشمس مايغنيك عن زحل﴾

ولو لم يكن في مجارى هذه الكلمات الا ما يشككك فى اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب فناهيك به نفعاً اذ الشكوك هى الموصلة الى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال نعوذ بالله من ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿تتمة لمصحح الكتاب﴾

أيا طلاب العلوم العقلية * وياعشاق المعارف الدينية * هلموا الي واصغوا أسماعكم نحوي * فها هو قد ظهر الكتاب الذي هو نبراس السعادة ومصباح الهدى * وعلم الحق المنير * ألا وهو كتاب ﴿ميزان العمل﴾ للامام الهمام حجة الاسلام أبو حامد محمد الغزالي الذي عرف فضله الخاص والعام من جميع الانام * هذا هو الكتاب الجامع للعقل والنقل المحتوى على تطبيق العلم البرهاني بالدين الاسلامي * في موضوع الاعمال الموصلة الى دار الجلال * وفي غيره من مواضيع شتى فهو كصاحبه فرد في محاسنه * وذلك لا يخفى على من عرف المزية التي امتاز بها ذلك الامام عن غيره من الأئمة من صحة علمه الصادر عن فرط ذكائه وقوة عمله الفائض عن غاية اخلاصه * وقد تنبه لعظم قدر الرجل عند العموم القائم بنشر كتابه ﴿الاربعين في أصول الدين﴾ حضرة الشيخ محيي الدين صبري الكردي الكانيمشكاني وأخوه حضرة الشيخ محمد حسين نعيمى الكردي * وحضرة الفاضل الشيخ عبد القادر معروف

الكردي فتحركت خواطرهم لطبع هذا الكتاب ﴿ميزان العمل﴾
ولما كانت النسخة التى أرادوا الطبع على موجبها هي مما
استنسخته من احدى الكتبخانات العالية في عنفوان العمر
وكان لهم حسن ظن بمعرفتى لهذا الفن ﴿ فن الاخلاق ﴾
التمسوا منى مساعدتهم فى تصحيحه فلواجب المحبة قمت مع
النشاط التام والتحري الكامل بتصحيحه ساهرا الليالي
باذلا نفيس الوقت فى تحريره وتخليصه حتى جاء على غاية
المرام * لاعيب فيه الا انه فى نهاية الصحة والاستقامة *
يسترسل القارئ فى تلاوته بلاأدنى توقف * ويستعذب سهولة
المعنى لتمام جمله وقيام تراكيبه الصحيحة بذلك ولو يعلم القارئ
مابذلناه فى تصحيحه لايقن باناوالحمد لله أخرجناه من العدم
الى الوجود يتحقق ذلك من يكلف نفسه بمقارنته باي نسخة
توجد ﴿ هذا ﴾ ولعمر الحق انا لو رأينا رواجاً للكتب النافعة
النفع الحقيقى لنقوم بخدمة الجمهور خدمة تنفعهم في الدنيا
والآخرة معا * وبالجملة نسأله تعالى أن يوفقنا لما فيه الخير
الصرف انه سميع مجيب   انتهى مصححه (ا ــ ع)

﴿ اصلاح الخطأ والتحريف الذي وقع في هذا الكتاب ﴾

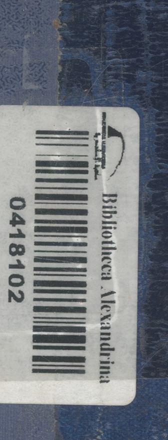
صحيفه	خطأ	صواب
٣	بالذّر	بالدرر
٣	لفني الذّر	لفنيت الدرر
٨	بالآخر	بالأخس
١١	تحسم	تجشم
١٢	عما	كما
١٥	عاقلا	جماعة
١٦	ويضطر	يضطر
١٦	يؤبه	يوبه
١٦	مقصرون	مقصرين
٢٤	تنبعث	تنبث
٢٥	خيالية	خيالا
٢٩	تقربه	فتقربه
٣٢	وكما	كما
٣٧	أبو	أبي

صحيفه	خطأ	صواب
٤٠	وتركت	وتراكمت
٥٨	لذلك	كذلك
٥٩	حسنت	وحسنت
٦٢	يسطيع	يستطيع
٧٦	بغير	لغير
٧٦	لايمكنه	لايمكن
٨٠	ليبجهوه	ليجبهوه
٨٢	جميله	جمليه
٨٦	فليتعاطى	فليتعاط
١٠٣	والترعيب	والترهيب
١٢٠	مقيدون	ممنوون
١٧٣	كا	كان
١٧٦	يؤد	يؤدي
١٩٤	فيتلقاه	فيتلقاه
١٩٨	بعد	عند

﴿ فهرست كتاب ميزان العمل للامام حجة الاسلام الغزالي ﴾

صحيفة

صحيفة


Bibliotheca Alexandrina
0418102